حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ـ العدد التاسع ـ شوال ١٤٤٠هـ / حزيران ٢٠١٩م

باب الثعبان - مسجد الكوفة المعظم

٩

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد محمد مجيد الموسوي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

التّنقيب الآثاري في الكوفة
(١٩٣٨- ١٩٥٦م)

الأستاذ محمّد علي مصطفى
مديرية الآثار القديمة العامة

(١)
تقريرٌ أوليّ
عن التّنقيب في الكوفة للموسم الثّاني(*)

من المدن التّاريخية المهمة الّتي عنيت مديرية الآثار القديمة العامة بفحصها ودرس بقاياها بالتّنقيب العلمي المنظم مدينة الكوفة القديمة بالنّظر لأنّها من أقدم المدن الإسلامية الّتي أسسها العرب بعد استيطانهم العراق في صدر الإسلام ولأنّها بقيت حقبة غير قصيرة من الزّمن عاصمة البلاد في عهد الخلفاء الرّاشدين والنّصف الأوّل من العصر الأموي.

فيها عسكرت الجيوش الإسلامية الّتي قضت على دولة فارس في العراق وفيها أنشأ سعد بن أبي وقاص أقدم مسجد جامع[١] ودار إمارة، واتخذها الإمام علي عاصمة له بعد انتقاله من الحجاز إلى العراق.

فالكوفة القديمة والحالة هذه تضم ولا شك أقدم معالم عمرانية وبقايا أثرية إسلامية لذا فقد أوفدت هذه المديرية هيئة صغيرة في سنة ١٩٣٨ لإجراء تنقيبات استكشافية فيها لغرض التّأكد من الأمرين الآتيين:

١- التّعرف على ما تضمه الآكام الّتي تحيط بساحة كبيرة مربعة تقع خلف مسجد الكوفة القائم والمعروفة لدى الأهالي بدار الإمارة وللتأكد من أنّ هذه الآكام تضم في الواقع بقايا تلك الدّار.

٢- علاقة هذه الآكام بالمسجد الحاضر من حيث اتصال البقايا البنائية الّتي تبطنها بجدار ذلك المسجد أو ببناء تحته يحتمل أن يكون هو المسجد الجامع القديم.

فاشتغلت تلك الهيئة التّنقيبية قرابة شهر واحد من تلك السّنة تمكنت في خلاله من الحصول على معلومات تخص مسجد الكوفة ودار الإمارة وقد نشرت نتائج ذلك العمل ضمن نشرة خاصة لمديرية الآثار العامة تحت اسم مسجد الكوفة سنة ١٩٤٠.

جاء فيها وصف موجز لأعمال التّنقيب هذه ولما استظهرته في تلك الآكام من بقايا بنائية وعن علاقة تلك البقايا بالمسجد الجامع، وكانت نتائج تلك الأعمال قليلة جداً لم تكف للتأكد من أنّ السّور المكتشف[٢] هو سور دار الإمارة الأولى وكذلك الغرف القليلة المنقب فيها ولم يبحث بحثاً كاملاً اتصال ذلك السّور بالمسجد القديم إذ إننا الآن نعلم أنّ البرج الأيسر عند مدخل السّور في ضلعه الشّمالية يمتد تحت أساس الجدار الشّرقي للمسجد الحالي، لهذا فإنّ هذا الجدار لا يمكن أن يكون قد شيد فوق بقايا الضّلع القديمة للمسجد الجامع، وعلاوة على ذلك لم يعرف شيء عما كانت تضمه السّاحة المربعة الواسعة المحاطة بالسّور المكتشف، وكانت النّية متجهة إلى حل هذه المسائل وإلى متابعة التّنقيب في السّنين المقبلة غير أنّ الأعمال المختلفة الّتي اضطلعت بها المديرية خلال الحرب والسّنوات الّتي تلتها أدت إلى إرجاء العمل في الكوفة حتّى أتيحت الفرصة لاستئنافه في شتاء هذا العام فأوفدت هيئة تنقيبات كاملة بدأت أعمالها في ١٥ من تشرين الثّاني واستمرت مدة شهرين ونصف شهر في التّنقيب في المكان المعروف بدار الإمارة.

وكانت الهيئة مؤلفة من الكاتب رئيساً لها ومسؤولاً عن أعمال الهندسة ومن السّادة حاتم شكري لتسجيل الآثار وحسين عزام للمحاسبة وإدارة المقر وعيسى الطّعمة لمراقبة العمال أثناء التّنقيبات وخلال النّصف الأخير من الموسم أنيب كلّ من السّيدين سالم الآلوسي وصبحي أنور ليقوما مقام السّيدين الأولين الّذين

(*) عن: مجلة سومر، المجلد العاشر، ج١ لسنة ١٩٥٤م ص٧٣-٨٥.

(١) فتوح البلدان للبلاذري من ص٢٨٢ إلى ص٢٩٨، والطّبري ج١، من ص٢٤٩١ إلى ص٢٤٩٢.

(٢) وهو السور الذي أسميناه بنتيجة أعمال الموسم الثاني بالسور الخارجي.

استدعيا إلى بغداد لأعمال رسمية أخرى، كما التحق بالبعثة في نهاية الموسم مدير المختبر السّيد أكرم شكري الّذي تولى معالجة بعض الزّخارف ورفعها من محلاتها، ومصور الدّائرة السّيد انتران إيفان لسحب التّصاوير للأماكن المنقب فيها.

تنقيبات الموسم الثّاني

بوشر بأعمال التّنقيب في قصر الكوفة في يوم الأحد المصادف ١٩٥٣/١١/١٥ وذلك بحفر مقطع يبدأ من السّور الخارجي الجنوبي الّذي استظهرت بعض أقسامه في الموسم الأوّل ويتجه نحو الشّمال ماراً بوسط السّاحة المحاطة بالآكام الحالية، وقد تمكنا خلال الأسبوع الأوّل من العثور على بقايا بعض قواطع الأواوين المشيدة لصق الوجه الدّاخلي للسور الخارجي، وكشفنا عن مرافق أخرى تقع شمال هذه الأواوين وكذلك عثرنا على بقايا برج وقسم من جدار سميك على ٢٦ متراً من السّور الخارجي إلى الشّمال منه، وتبين بعد الفحص أنّ قسم الجدار هذا والبرج يعودان إلى سور آخر داخلي توازي أضلاعه أضلاع السّور الخارجي وقد تم الكشف عن الوجه الخارجي لهذا السّور في الأسبوع الثّاني من العمل، وكذلك تم تحديد زواياه الثّلاثة الشّمالية الشّرقية والشّمالية الغربية والجنوبية الغربية، أمّا الزّاوية الجنوبية الشّرقية فلم نتمكن من العثور عليها وذلك لكثرة أعمال النّقض والتّخريب النّاتج عن رفع الآجر في هذا القسم من السّور في سنين سابقة.

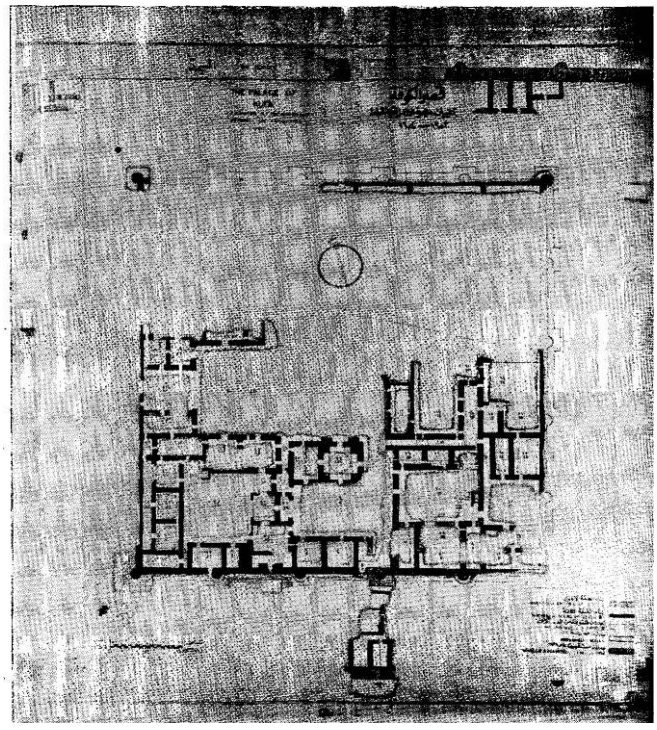

الشكل : ١

ثمّ ركز العمل نهائياً على تتبع بقايا القواطع والجدران المشيدة داخل السّاحة وبنتيجة ذلك كشف عن عدة مرافق للسكنى كلّ قسم منها مؤلف من حوش أو فناء كبير يحيط به عدة صالات وغرف واسعة بعضها تلاصق السّور الدّاخلي من باطنه.

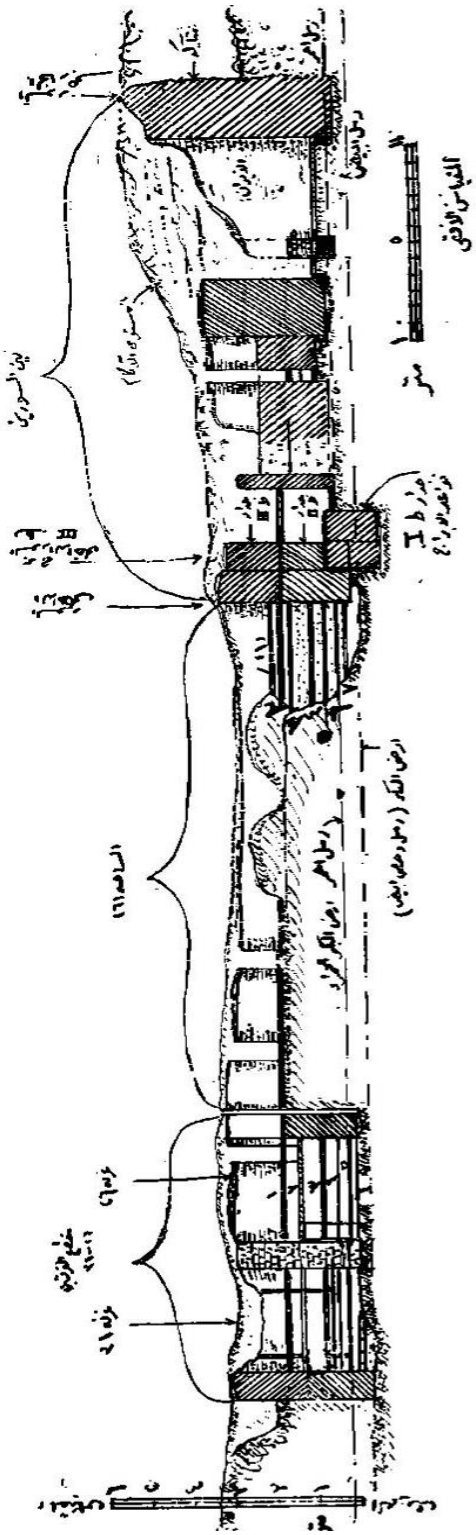

الشكل : ٢ - المقطع : آ - ب

وقد أجبرنا على ترك طريقة التّنقيبات الكاملة أي رفع الأنقاض جميعها من داخل الغرف وذلك لجسامة العمل وكثرة التّكاليف فاتبعنا خطة أخرى وسطية في العمل وهي كشف أوجه الجدران واقتفاء أثرها بحفر خنادق ضيقة بإزائها «انظر الشّكل «٨» أ- ب» واكتفينا بإظهار النّقاط المطلوبة لتكملة المخطط وكنا أحياناً نقوم بالتّنقيب الكامل وذلك في المحلات الصّغيرة أو المهمة، وفي نهاية الموسم تمكنا من الحصول على مخطط يمثل النّصف الجنوبي للقصر.

ويشمل بعض المباني المشيدة ضمن السّور الدّاخلي وذلك للطبقة الأخيرة «وهي الطّبقة الثّالثة من الأسفل» حيث وجدت جدرانه فوق بقايا جدران لقصر أقدم منه يماثله في الرّيازة وترتيب المرافق وعدد السّاحات وفي بعض أبواب الغرف وقد سمينا بقاياه بالطّبقة الثّانية.

ولأجل معرفة أدوار الأبنية المختلفة والمكتشفة حديثاً وربطها مع السّور الخارجي المكتشفة بعض أجزائه في الموسم الأوّل قمنا بحفر مقاطع عديدة تغور إلى الأرض البكر تتبعنا فيها تبالط هذه الأبنية وربطنا بعضها ببعض وقارنا مستوياتها فتمكنا من الحصول على المعلومات التّالية:

١- إنّ أدوار بنائية ثلاثة مرت على قصر الكوفة.

٢- السّور الخارجي بقي على حاله ولم يهدم كما هدم السّور الدّاخلي وجدد بناؤه وتدل الشّواهد المعمارية على أنّ السّور الخارجي كان تشييده في زمن الدّور الثّاني لقصر الإمارة أو بعد ذلك بقليل، حيث أنّ تبليط الجص المشيد مع السّور هو أعلى مستوى من أقدم تبليط شيد ضمن السّور الدّاخلي وهو بمستوى تبليطه الثّاني [المعلم برقم ٦ في الشّكل «٢»] ضمن السّور الدّاخلي.

٣- إنّ بعض القواطع للأواوين الملصقة على السّور الخارجي كانت متأخرة في الزّمن عنه حيث أسسها تقص تبليط الجص المشيد مع السّور الخارجي [انظر شكل ٣- ب] وتنفذ فيه.

٤- إنّ المرافق الأخرى الكائنة بين الأواوين والسّور الدّاخلي قد شيدت بعد زمن بناء الأواوين وذلك لارتفاع أسسها عن أسس القواطع المذكورة [انظر شكل ٢].

٥- توجد بقايا جدران سميكة تغوص نحو ٩٠سم في الأرض البكر وتكتنف أسس الطّبقة الثّانية للسور الدّاخلي من الخارج وتحتوي على بقايا قواعد مستطيلة الشّكل لأبراج شيدت بالآجر والجص وقد سميتا هذه البقايا القديمة في المخطط العام «شكل ١» بالطّبقة الأولى.

٦- ويلاحظ من المقطع شكل «٢» أنّ لكل من الطّبقة الثّالثة الأخيرة والطّبقة الثّانية الوسطية عدد من التّباليط متفاوتة في الزّمن حيث أنّ الطّبقة الثّانية تحتوي على ثلاثة تباليط هي السّادس والخامس والرّابع، وعلى ارتفاع نصف متر من التّبليط الرّابع يبتدئ التّبليط الثّالث الّذي هو أقدم تبليط للطبقة الثّالثة وبين الثّالث والرّابع أنقاض وكسر الآجر من بقايا الطّبقة الثّانية وضعت في الزّمن الّذي فيه شيد القصر الثّالث وهو الأخير، ويحتوي كذلك القصر الثّالث على بقايا ثلاثة تباليط: الأوّل والثّاني «شكل ٢» عملا من الآجر والثّالث وهو أقدم منهما شيد من الجص وكسر الآجر، وتؤيد أكثر المحلات الّتي جرى فيها الحفر من أنّ هذه الطّبقة الأخيرة، وحول هذه التّباليط الثّلاثة وعلى الأخص في الغرفتين «٢٦» و«٣١».

٧- لاحظنا في المقطع الكائن في الرّكن الشّمالي الغربي للسور الدّاخلي أنّ ثمة تبليط من الآجر الصّغير يغطي بقايا برج ركن السّور للطبقة الثّالثة [انظر شكل ٤- ١] ومن هنا يتبادر إلينا أنّ بعض الغرف الّتي بين السّورين في القسم الشّمالي ولاسيّما ما كان منها في جنوب الجامع شيدت في أزمنة متأخرة لا علاقة لها بالدّور الثّالث، فقد تم بناؤها بعد هدم السّور الدّاخلي وبما أننا لم نستمر على أعمال التّنقيب في هذا القسم من القصر فلا يمكن معرفة بقيته أو تحديد تاريخ تشييد هذه الغرف، إلا أنّ بوسعنا القول أنّ السّور الخارجي للقصر قد بقي قائماً مدة من الزّمن بعد هدم السّور الدّاخلي حيث استفاد من وجوده بعض من سكن أرض القصر في الأدوار المتأخرة إذ شيدوا غرفاً بإزاء ضلعه الشّمالية تمتد نحو الجنوب فتغطي بقايا السّور الدّاخلي، ويحتمل أن سكن هذه الغرف من كان له صلة بالجامع مثل سدنته إذ عثر على ممر يصل بين هذه الغرف وبين الجامع عند الزّاوية الغربية للسور الخارجي كان قد سُدّ في زمن متأخر بالآجر، ولعل تحريات المواسم القادمة تحدد لنا زمن بناء هذه الغرف وتكشف لنا عن صلتها بأقسام أخرى من القصر.

٨- وجود أجزاء من أسس على أنقاض الطّبقة الثّالثة في السّاحة وكذلك فوق بقايا أعالي السّور الخارجي مما يدل على أنّ بعضهم قد أفادوا من هذا الفراغ المستحدث بعد هجر الدّار فشيدوا لهم مساكن فيه.

ويمكننا أن نستنتج من المعلومات المذكورة آنفاً أنّ الخرائب الّتي تقع خلف المسجد الحالي في الكوفة القديمة والمعروف مكانها عند الأهالي الآن بدار الإمارة تضم بقايا عدد من الأبنية المنشأة أحدها على بقايا الآخر الأقدم منه وترتيب تسلسلها الزّمني هو كما يأتي:

أوّلاً: الطّبقة الأولى وهي طبقة في مكان دار الإمارة تنزل

أسسها إلى عمق ٩٠سم في الأرض البكر وهي إذن أوّل بناية شيدت في هذا الموضع ولربما كانت دار الإمارة الأولى الّتي شيدها سعد بن أبي وقاص أو قد يكون بقايا بناية شيدت قبل مجيء المسلمين إلى الكوفة.

ثانياً: الطّبقة الثّانية وتتكون من سورين داخلي وخارجي ولربما شيدا في زمن واحد على إننا نرجح أنّ تشييد الدّاخلي قد تم قبل الخارجي لاختلاف مستوى التّبليط الأوّل فيهما حيث يعلو تبليط السّور الخارجي بقليل عن تبليط السّور الدّاخلي وتمثل هذه الطّبقة الثّانية على الأرجح دار الإمارة في العصر الأموي.

ثالثاً: الطّبقة الثّالثة قصر عباسي له سوران سور خارجي وهو سور الطّبقة الثّانية نفسه بعد ترميمه وسور داخلي جديد يضم بنايات عديدة متنوعة التّصاميم والاتجاهات والأغراض وقد شيدت جميعها بعد نقض القصر الثّاني الأموي.

الشكل : ٣ - آ

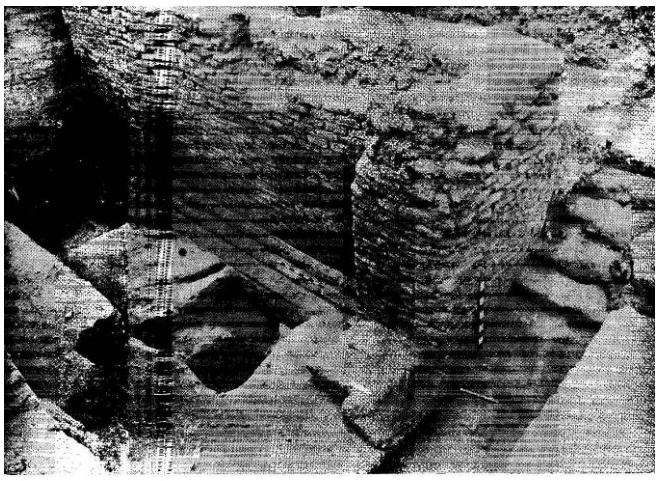

الشكل : ٣ - ب

الشكل : ٣ - ب

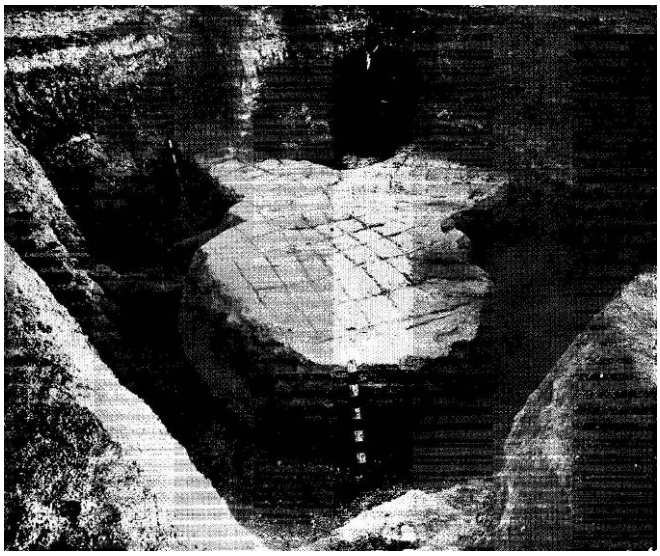

الشكل : ٤ - آ

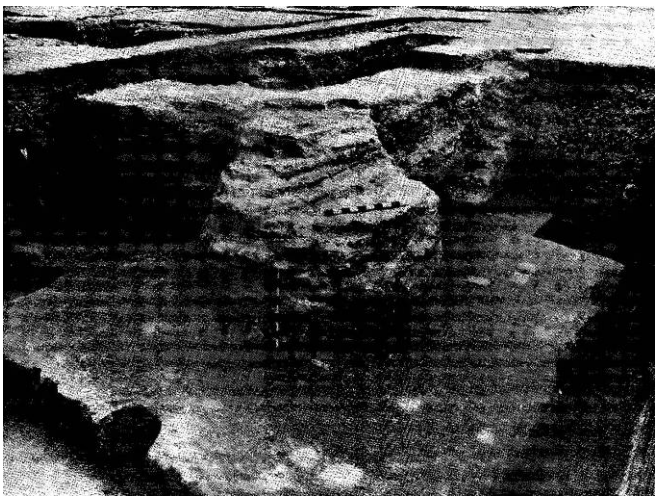

الشكل : ٤ - ب

رابعاً: غرف شيدت بعد هدم الطّبقة الثّالثة وذلك في القسم الشّمالي يظن أنّها من القرنين الثّالث والرّابع للهجرة ولعلها هي الّتي شاهدها الطّبري المؤرخ المعروف وأطلق عليها القصر الحالي[1]، وتدل المعالم على أنّ السّور الخارجي كان قائماً في ذلك الزّمن، ويمكن أن نسمي هذا الدّور بالطّبقة الرّابعة.

خامساً: بقايا أسس متفرقة من الآجر الصّغير تقوم فوق أنقاض السّور الدّاخلي ومرافقه وتعود إلى أبنية متأخرة استخدم مشيدوها أجزاء من السّور الخارجي وهي على غرار الأبنية الإلخانية استناداً إلى حجم الآجر وكذلك من معرفة كسر الفخار ووجود بعض الدّراهم الإلخانية بين النّقض.

(١) الطّبري ج١، ص٢٤٩١- ٢٤٩٢.

الطّبقة الثّالثة أو القصر العبّاسي

يحد القصر الأخير أو بناء الطّبقة الثّالثة من قصر الكوفة سور ضخم وهو السّور الخارجي للطبقة الثّانية بعد ترميمه، وأبعاد القصر من الدّاخل نحو ١٧٠× ١٧٠ متراً تقريباً وسمك السّور نحو ٣،٦٠ متراً، وتدعم جوانبه دار كأنّه من الخارج أبراج نصف دائرية معدل قطر البرج ٣،٥٠ متراً وتختلف الأبعاد بين الأبراج إلا أنّ البعد الغالب فيها ٢٤ متراً وتحتوي الضّلع الشّمالية على باب واسع في الوسط يدعمه برجان على جانبيه من الخارج أحدهما قد ذهبت معالمه وقد استندنا فيما ذكرناه عن أبعاد السّور الخارجي على نتائج حفريات الموسم الأوّل ١٩٣٨ الّذي بقاياه البنائية المكتشفة أشرنا إليها بخطوط متقاطعة في المخطط العام شكل «١»، أمّا ربط مكتشفات الموسم الأوّل بنتائج التّنقيبات الحالية فهو على وجه التّقريب ما عدا القسم الجنوبي من السّور الخارجي حيث المقطع الأوّل الّذي تم التّنقيب فيه في الموسم الحالي ويمكننا كذلك أن نقول أنّ الأواوين الّتي أنشأت لصق السّور في الدّور الثّاني قد جددت واستعملت في هذه الطّبقة بعد إجراء تعلية في مستويات تباليطها لتتلاءم مع مستوى الطّبقة الثّالثة الجديدة، السّور الدّاخلي فقد أعيد بناؤه وكذلك بناء المرافق المتعددة المشيدة داخله وذلك بنقض جدران الطّبقة الثّانية بعد ترك نحو متر من بقاياها لتكون أسساً للقصر العبّاسي الجديد في الطّبقة الثّالثة.

وهذا القصر الجديد مربع الشّكل أبعاده الدّاخلية ضمن سوره الدّاخلي ١١٠× ١١٠ متراً وسمك جدرانه ١،٨٠ متراً محاط من الخارج بأبراج نصف دائرية عددها عشرون استظهر منها لحد الآن سبعة أبراج ثلاثة في الأركان وأربعة في الضّلع الجنوبية، ومعدل قطر كلّ برج نحو ثلاثة أمتار، أمّا عدد الأبواب في السّور الدّاخلي فلا يمكن معرفته الآن إلا أننا كشفنا عن خمسة منها وهي باب كبير في وسط الضّلع الشّمالية وباب أخرى في الجانب الغربي وثلاثة أبواب في الضّلع الجنوبية في قسمها الغربي، ويضم السّور الدّاخلي مجموعات من دور سكنى بسيطة التّخطيط توفرت فيها المرافق الّتي كان يحتاج إليها بانيها.

وقد كشف لحد الآن عن خمس ساحات كبيرة تحيط بها عدة قاعات أو غرف واسعة، ففي القسم الجنوبي الشّرقي من القصر تقع ثلاث دور ذات السّاحات المرقمة ٢٤ و١٠ و١٩ إلا أنّ التّخريب الكبير الّذي أصاب هذا القسم عندما رفع منها الآجر حرمنا من معرفة خصائص هذه الدّور ما عدا الدّار الكبيرة المرقمة بـ «١٠» فقد وجدنا أنّ القسم الشّمالي منها خصص للطبخ، ففي الغرفة رقم «٣١» عثر على مواقد يشاهد فيها آثار الحرق وفيها رماد، ويستدل من سعة هذه المواقد وكثرتها على أنّ المطبخ لم يكن خاصاً لعائلة واحدة أو لنفر قليل، وتتصل هذه الغرفة بالغرفة المجاورة الرقم «٢٦» بباب كبير في الضّلع الغربية منها وقد خصصت هذه الأخيرة لغسل الأواني والصّحون حيث وجد فيها بقايا عدة أحواض من الآجر والجص وبقايا الزّفت، وبلاليع كثيرة ذات مجاري خاصة لتصريف المياه بعد تصفيتها من المواد العضوية العالقة فيها، وهذه البلاليع تماثل ما كشف عنه في التّنقيبات في تل عمر «سلوقية» وفي تنقيبات هذه المديرية في مدينة سامراء، وتتكون هذه المجاري من حوض يؤدي إلى ساقية تمر فوق مجموعة من جرار اسطوانية الشّكل مدببة من الأعلى صفت الواحدة بجانب الأخرى عمودياً وحفر أسفلها لتصريف المياه، وكذلك وجد بجانبها مجرى شيد من الآجر والجص يؤدي إلى خارج الغرفة حيث تصب مياهه في بالوعة في وسط السّاحة رقم «١٠» وبواسطة هذه الجرار يمكن ترشيح المياه من المواد العضوية الّتي تتراكم داخل الجرار فتسيل المياه إلى البلاليع صافية فلا تأسن ولا تخرج روائح كريهة، أمّا القاعات الجنوبية لهذه الدّار فعددها أربع، اثنتان منها شيدتا عمودياً على السّور واثنتان موازيتان له، لم يتم التّنقيب فيها إلا أنّها على الأغلب غرف سكنى لهذه الدّار، وعثر على باب كبير بجانبه درج واسع لاتزال بعض درجاته موجودة في الضّلع الشّرقية من ساحة هذه الدّار، وبهذا الباب يتم الاتصال بين هذه الدّار والدّار المجاورة الرّقم «٢٤» كما يتم الاتصال بالقسم الشّمالي بواسطة الغرفة الرّقم «٢٧» خلال الممر المرقم «٢١» وبالقسم الغربي بواسطة البابين المؤديين إلى السّاحة الرّقم «٦»، أمّا المرافق الّتي تحيط بالسّاحة الرّقم «١٩» فمعقدة الشّكل جرت عليها عدة ترميمات وتعديلات وقد كانت في الأصل داراً واحدة قسمت إلى دارين بواسطة الممر رقم «١٨» إلا أنّه ليس في وسعنا تحديد مخططها والتّعرف عنها للتخريبات الّتي أصابت هذا المكان لاسيّما في قسمه الشّرقي.

وفي وسط القسم الجنوبي من القصر دار كبيرة ساحتها الرّقم «٦» مستطيلة الشّكل يمكن الوصول إليها من خارج السّور الدّاخلي من البابين الوسطين في الضّلع الجنوبية للسور أولهما الباب المؤدي إلى المجاز الرّقم «٥» وهو أوسع باب في هذه الضّلع والثّاني المؤدي إلى المجاز الرّقم «٣٠» وتحاذي هذه السّاحة في الجانب الشّمالي غرفتان الأولى الرّقم «٣٤» مضلعة الجوانب من الدّاخل وهي شبيهة بغرف ذات قباب مستديرة، ووجدت على وجهها الخارجي الشّمالي بقايا دعامتين مما يدل على وجود باب ذي قوس في ذلك الجانب، وعثر على جانبي هذا الباب من الخارج بقايا زخارف جصية

ذات رسوم نباتية صورت تصويراً عميقاً بأسلوب مغلظ مماثلة للزخارف المكتشفة في خرائب حويصلات العبّاسية الواقعة بالقرب من سامراء ومن النّوع الخشن وبهذه القاعة أربعة أبواب في الجهات الأربع يؤدي أحدها إلى الغرفة المجاورة الرّقم «٣٣» الّتي في جوانبها الأربعة كذلك أربعة أبواب، وقد عثر بين أنقاض هذه الغرفة الأخيرة على بقايا نقوش ذات أصباغ مائية لم نتمكن من معرفة أشكالها.

أمّا في الجانب الغربي من السّاحة فيوجد إيوان قليل السّعة على كلّ من جنبيه نصف اسطوانية من الآجر والجص يقابلهما في كلّ من الرّكن الغربي للغرفة «٣٣» والرّكن الشّمالي للغرفة الرّقم «٣» نصف أسطوانة كذلك، ومن هذا الإيوان يمكن الاتصال بباقي المرافق في القسم الغربي من هذه الدّار بالمرور في الغرفتين «٣٧» و«٤٥»، وفي جنوب السّاحة قاعتان هما الرّقم «٣» و«٤» وبجوار هذه الأخيرة يقع المجاز الرّقم «٥» الّذي يؤدي إلى السّاحة نفسها.

ويستدل من تخطيط هذه الدّار وطراز ريازتها على أنّها خصصت لشؤون مهمة ولعلها كانت ديوان الحكومة أو محل القائم بالإدارة، أمّا الدّار المرقم «٣٥» من القصر فإنّها كبيرة ومتعددة المرافق تدل المعالم الأثرية في جانبها الغربي على أنّ ذلك الجانب منها كان مخصصاً للسكنى، ويصل بين غرفة ممر عريض المرقم «٤٦» الّذي في الوقت ذاته يفصل هذه الغرف عن الضّلع الغربية للسور الدّاخلي، ومن هذه الغرف اثنتان تتصلان بالسّاحة «٣٥» وهما الغرفة الرّقم «١» من خلال الممر الضّيق «٥٩» والغرفة الرّقم «٤٤» تتصل بالسّاحة مباشرة، أمّا الغرفتان الوسطيتان «٤٢» و«٤٣» فتتصلان ببعضهما بواسطة باب صغيرة وبالممر مباشرة ببابين واسعتين، ووجد في هذا الممر مجموعة كبيرة من كسر الفخار لجرار دقيقة الصّنع ولحباب كبيرة سميكة الجانب وأجزاء لأواني طبخ مصنوعة من الحجر.

ويمكن الوصول إلى هذه الدّار من المجاز الرّقم «٢٩» قرب البرج الثّاني للضلع الجنوبية، أمّا قسمها الشّمالي فيتكون من قاعتين فسيحتين يدل سمك جدرانهما وريازتهما على أنّهما لم يكونا غرفاً للسكنى ولعلهما تعودان إلى مجموعة غرف الإدارة المار ذكرها سابقاً حيث تتصلان بتلك المجموعة بواسطة الممر الضّيق الرّقم «٤٧».

وتطل هاتان الغرفتان وكذلك الغرف الشّمالية للدار الرّقم «٦» على ساحة واسعة جداً لم نتمكن من تعيين جميع حدودها إلا أنّها في الظّاهر تفصل القسم الجنوبي أو الدّار الجنوبية للقصر من الدّور المشيدة في قسمه الشّمالي والّتي لم ينقب فيها في هذا الموسم، وهذه السّاحة كانت أوسع ساحات القصر وأهمها وتتصل بخارج السّور من الباب المكتشف في الضلع الغربية من المجاز الرّقم «٧٥».

مادة البناء لقصر الطّبقة الثّالثة

شيدت جدران الطّبقة الثّالثة من آجر وجص وماتزال وجوه معظمها تحتفظ بكسائها الجص «البياض»، والآجر مربع الشّكل الكبير الحجم في الغالب إلا أنّه مختلف فبعضه المستعمل في الأسس بحجم ٣٧× ٣٧× ٩سم أمّا الجدران فالآجر المستعمل فيها ذو قياسات ٣٦× ٣٦× ١٠سم و٣٥× ٣٥× ٧سم و٣٣× ٣٣× ٧سم وكان الآجر ذو الحجم الأخير هو المستعمل في بناء القسم الشّمالي حيث وجد مصفوفاً بنسق خاص وذلك بوضع صف من الآجر عمودياً عرضياً وصف السّاف الّذي يليه عمودياً طولياً وهذا النّوع من التّرتيب في صف الآجر لم يعرف إلا في البناء المكتشفة في مدينة دور كوري كالزو «عقرقوف» عاصمة الكشيين في القرنين الرّابع والثّالث عشر قبل الميلاد إذ وجد هذا النّظام في صف الآجر في أبنية الطّبقة الأخيرة من طبقات هذه المدينة، وكذلك عثر على آجر مستطيل الشّكل أبعاده ٣٠× ١٨× ٧،٥سم استعمل في تغليف أوجه الأبراج في أدوار ترميمه، وثمة آجر مربع صغير الحجم قياسه ٢٠× ٢٠× ٥سم وجد مستعملاً في التّبليط في جميع مرافق القصر وساحاته ما عدا السّاحة الرّقم «٢٤» حيث عثر فيها على تبليط من الآجر بالحجم الكبير أبعاده ٣٤× ٣٤× ٨سم وقد استعمل كذلك الحجم ٢١× ٢١× ٤،٥سم في التّبليط الثّاني من الأسفل وهو أصفر اللون، والجدير بالذّكر أنّ مادة الجص وحدها استعملت في التّبليط في بعض المحلات وعلى الأخص في التّبليط الأوّل من الأسفل، أمّا طريقة رصف آجر التّبليط فكانت على نوعين الأوّل منهما رصف الآجر في سفوف تتوازى وامتداد جدران القصر وذلك في داخل الغرف والقاعات، والثّاني منهما رصف الآجر بحسب أقطاره وذلك في السّاحات فقط وهذا الأخير يرصف بعد وضع مثلثات من الآجر «أي أنصاف الآجر الكامل» في حواشي السّاحات ومن ثمّ يرصف الآجر الكامل بين أضلاع هذه المثلثات حتّى يتم التّبليط المسمى بالرّصف القطري، وهذا النّوع من التّبليط يريح النّظر ويذهب بالملل الّذي يحدثه عادة التّبليط من النّوع الأوّل.

معدل ثخن جدران المرافق في داخل القصر للطبقة الثّالثة ١٤٠سم إلا أنّه وجد بينهما ما ثخنه ١٥٠سم وبينها ثخنه أقل من المعدل ويتراوح بين ١١٥سم و١٢٠سم وذلك في الأقسام الغربية وعلى الأخص في الغرف «٤٢» و«٤٣» و«٤٤» وفي محلات قليلة أخرى في القسم الشّرقي من القصر.

أمّا الأبواب فتختلف كثيراً في سعتها فأضيقها عرضه نحو ٧٠سم وتتسع الفتحات في أبواب القاعات الكبيرة فتبلغ نحو ١٥٠سم وتصل سعتها أحياناً ٢٢٥سم وذلك في الرّدهات المطلة على السّاحة الكبيرة الرّقم «٥٤» ولجميع الأبواب في السّور عضادات جانبية ويحتوي بعضها على جوانب معرجة أو مقضنة من الدّاخل، وتختلف كذلك سعة فتحاتها إلا أنّها تزيد كلّها عن المتر بقليل أو كثير وذلك من الدّاخل وتضيق قرب النّهاية من الخارج بواسطة بروز العضادات الّتي تسند أبواب الخشب.

الزّخرفة والنّقوش

عثر في أثناء التّنقيب على كثير من قطع زخرفية من الجص وجدت متناثرة في أماكن كثيرة من القسم الوسطي من القصر أي في مجموعة الدّار المرقمة بـ «٦» وهذه الزّخارف لم يعثر عليها في محلاتها الأصلية عدا ما وجد منها مزيناً لمدخل القاعة المضلعة الرّقم «٣٤» وعلى بقايا زخرفة أخرى ذاهبة تناظرها في الجانب الثّاني من الباب الشّمالية، أمّا الأقسام السّاقطة فوجدت في المجاز الرّقم «٣٠» وتتكون من عدة كسرات مع أعمدة من الجص صغيرة بهيئة نصف دائرة ربما كانت تؤلف حداً لزخرفة، ووجد في باب الغرفة الرّقم «٤» بعض القطع من الجص المزينة بزخرف دقيق وعميق الحفر غير أنّها كانت بين النّقض وفي حالة سيئة أمّا الزّخارف الكاملة فهي على أشكال عضادات وجدت مثيلاتها عادة بكثرة في القصور العبّاسية وعلى الأخص في سامراء والزّخارف المكتشفة على نوعين نباتية وتمثل عناقيد عنب وورقه انظر الشّكل «٧» وهي إمّا دقيقة الصّنع أو خشنته، والنّوع الثّاني قوامه رسوم متداخلة من الطّراز المعروف بالزّخارف العربية المتناظرة، أمّا النّقوش الملونة فلم نعثر عليها في محلاتها الأصلية وكلّ ما وجد منها قطع مبرقشة بأصباغ كانت بين النّقض وتحتوي على ألوان كثيرة منها الأزرق الغامق والأحمر بأنواعه والبرتقالي والأصفر، وقد وجدت آثار هذه الأصباغ تقريباً في جميع الدّور المنقب فيها، ويتبادر للذهن على أنّ الألوان المائية كانت تغطى الأقسام العليا من وجوه الجدران المكسية بالجص داخل القاعات وعلى الأخص في غرف الإدارة المحيطة بالسّاحة الرّقم «٦» ولم نتمكن من معرفة الرّسوم في هذه النّقوش إلا أنّ البعض منها كان من النّقوش الهندسية والبعض منها ما يشبه الخطوط الكوفية والغالب في النّقوش المكتشفة في القاعة الرّقم «٣٣» اللون الأحمر.

الطّبقة الثّانية أو القصر الأموي

لم نتمكن من كشف أجزاء كثيرة لهذه الطّبقة حيث كما سبق أن قلنا كان العمل موجهاً نحو تتبع بقايا الطّبقة العليا ومع ذلك فبإمكاننا أن نعطي فكرة موجزة عن نوع البناء وشكله وذلك من المعلومات الّتي حصلنا عليها لهذا الموضوع في المقاطع والحفائر الّتي نزل فيها إلى الأرض البكر بالتّنقيب في بعض الغرف منها الغرفتان «٢٦» و«٣١» والمجاز «٣٠» وكذلك من الباب الوسطي في الضّلع الشّمالية، فيتكون القصر الثّاني من سورين خارجي وداخلي والخارجي منهما فخم ثخين، وقد شيد على ما يظن بعد السّور الدّاخلي وأبعاده من الدّاخل نحو ١٧٠× ١٧٠متراً تقريباً ويتراوح ثخنه بين الأربعة والثّلاثة أمتار ونصف المتر ويضم هذا السّور عدة أواوين لصقت جدرانها على وجهه الدّاخلي بلا ربط وذلك بعد مدة من الزّمن، ومعدل أبعاد هذه الأواوين نحو ٤× ٦،٣متراً وسمك جدرانها نحو ١٢٠سم، وعثر كذلك على بقايا مرافق أخرى بين هذه الأواوين والسّور الدّاخلي وذلك في الدّور الأخير من زمن هذه الطّبقة، أمّا السّور الدّاخلي فتدل جميع المحلات المنقب فيها على أنّ أبعاده تتفق مع أبعاد السّور المبني فوقه والّذي يعود إلى الطّبقة الثّالثة وبهذا تصبح أبعاده الدّاخلية نحو ١١٠× ١١٠متراً وثخن جدرانه نحو ١٧٠سم وبما أنّ بقايا السّور الدّاخلي ومرافق الدّور المشيدة في الطّبقة الثّانية قد جعلت أسساً للطبقة الثّالثة لذلك فسعة الغرف وتخطيطات دور السّكنى في كلا القصرين متماثلة، وقد أيد ذلك التّنقيبات في الغرفتين «٢٦» و«٣١» حيث وجدنا أنّهما اتخذتا للغرض الّذي استعملتا له في الطّبقة الثّالثة أي للطبخ وما يتعلق به، وكذلك التّنقيبات في المجاز «٣٠» وفي السّاحة الرّقم «١٠» ومن تتبع بقايا الدّرج في هذه السّاحة وفي الأركان للسور الدّاخلي والزّوايا الدّاخلية له، ومن هنا يمكن أن نقول على وجه التّقريب أنّ ريازة الطّبقة الثّانية للقصر قد استنسخت عند تشييد القصر الثّالث وبهذا فيكمن الاستناد إلى أوصاف القصر الأخير العباسي لمعرفة أوصاف القصر الأموي في الطّبقة الثّانية ما عدا تغيير بسيط جرى على مواضع بعض المداخل للغرف والسّور حيث تنحرف قليلاً إما إلى اليمين أو إلى اليسار عن مواضع المداخل للطبقة الّتي تليها.

وقد حافظت بعضها على محلاتها الأصلية في كلا الطّبقتين.

وعثر على آثار حريق هائل في المجاز الرّقم «٣٠» وقد أثر هذا الحريق على وجوه الجدران والآجر وأحال لون البناء إلى لون أحمر داكن شبيه بلون الآجر في بطن الأفران، وتدل الظّواهر على أنّ الحريق حدث في آخر دور من أدوار سكني

هذا القصر أي في أواخر زمن تبليطه الأخير ولربما كان هذا الحريق هو من الأسباب الّتي أدت إلى نقض هذا القصر.

مادة بناء الطّبقة الثّانية

شيد القصر الثّاني من الآجر والجص، وأكثر الآجر المستعمل في بنائه مربع الشّكل بحجم ٣٦× ٢٦× ٩سم وكذلك استعمل آجر مستطيل الشّكل في بناء بعض الأسس بحجمين ٣٨× ١٧× ٩سم و٣٦× ١٨× ٩سم، ويكثر الآجر المتوسط الحجم في بناء القواطع الدّاخلية للدور المشيدة داخل السّور وحجومه نحو ٢٨× ٢٨× ٧سم و٢٩× ٢٩× ٧سم والملاط المستعمل لربط الآجر هو الجص وقد أسرف في استعماله ولاسيّما في كساء أوجه الجدران، غير أنّ الجص المستعمل في هذه الطّبقة يميل إلى الاحمرار لوجود الرّمل الأحمر فيه إلا أنّه كان من النّوع القوي الجيد، وكذلك استعمل الجص بكثرة في تسييع أرضية الغرف بدلاً عن آجر التّبليط وقد عثر في الغرفة «٣١» على تبليط بالآجر الكبير أبعاده ٣٠× ٣٠× ٦سم رمادي اللون مائل إلى الخضرة مصقول الوجه وهو أول تبليط لهذه الطّبقة، ويستدل من هذه النّتائج القليلة الّتي كشف عنها في هذه الطّبقة لحد الآن على أنّ قصر الكوفة في دوره الثّاني كان أحسن حالاً وأفضل بناءً في أدواره الأولى والأخيرة، وأنّ أبواب سوره كانت أوسع من أبواب الطّبقة الثّالثة.

لم يعثر على بقايا زخارف أو إصباغ في المحلات الّتي نزل إليها في هذه الطّبقة، ولهذا فلا يمكننا أن نبت بشيء حول هذا الموضوع حيث كانت المحلات المنقب فيها محصورة في مواضع ضيقة تشمل أقساماً في الغالب لا يعثر فيها على زخارف.

الطّبقة الأولى: دار الإمارة الأول

ذكرنا سابقاً أنّ الطّبقة الأولى تتكون من بقايا أسس لبناء كان في الأصل قصراً بحد ذاته، وهذه الأسس ليست إلا بقايا جدران ذلك البناء الّذي هدمه بناة القصر الثّاني، ويتراوح سمكها بين ١،٨٠سم والمترين وترى في المخطط العام شكل «١» بقايا هذه الأسس تكتنف أساس السّور الدّاخلي للطبقة الثّانية وملاصقة له، ويحتوي وجهها الخارجي على قواعد مستطيلة الشّكل طولها نحو ٦،٥ أمتار وبروزها نحو ١،٥٠ متراً وبين كل قاعدة وأخرى مسافة تبلغ نحو ١٨،٣٠ متراً وقد استخرج أربع منها أثناء التّنقيب وكلها متساوية في الأبعاد والشّكل، وهذه القواعد هي بقايا أسس الأبراج الّتي كانت تدعم سور دار الإمارة الأوّل.

ويلاحظ كذلك في المخطط أنّ هذا السّور ينعطف مع السّور الدّاخلي للطبقة الثّانية في الجانب الغربي حيث يكون بموازاة ضلعه الغربية انظر الشّكل «٤- ب» كذلك، وعلى هذا افترضنا أنّ باقي أضلاع هذه الدّار تسير مع الاتجاهات الأخرى للطّبقة الثّانية، فمن الممكن القول أنّ أبعاد هذه الدّار هي ١١٣،٦٠× ١١٣،٦٠ متراً من الدّاخل و١١٥،٦٠× ١١٥،٦٠ متراً من الخارج وأنّ عدد أبراج سوره في الخارج تساوي عدد أبراج سور الطّبقة الثّانية كما أنّ هذه الأبراج بعدد أبراج الطّبقة الثّالثة أي عشرين برجاً.

وقد تبادر إلى الذّهن لأوّل وهلة أنّ هذه الأسس ما هي إلا أساس أو دكة لجدران الطّبقة الثّانية حيث أنّها تنزل نحو ٩٠سم في الأرض الصّرفة «البكر»، إلا أنّ تنقيبات المجاز رقم «٣٠» أبانت لنا بقايا قواطع لأبنية داخل هذ السّور تختلف أحياناً عن الّتي تليها وتحتفظ على بقايا تبليط من الجص سيع فوق الأرض الصّرفة الحمراء، انظر شكل «٣- أ» شيد القصر الأسفل من الآجر والجص وقد استعمل في سوره آجر بحجم واحد مقداره ٣٦× ٣٦× ٨- ٩سم، كما استعمل هذا الآجر في بناء القصر الثّاني بعد نقضه من الطّبقة الأولى، ولبة الآجر ذات لون أصفر فاتح وجوانبه مائلة إلى الخضرة شديد الحرق، ومونته الجص ويلاحظ أنّه قد اعتنى بصقل وجوهه الخارجية ورصفه رصفاً منسقاً أمّا في الدّاخل فلم يعن في رصف الآجر واستعمل كسر الحجارة وقطع الآجر المختلف الحجوم حيث عثر على ثلاثة أشكال منه هي ٣٠× ٣٠× ٧سم و٢٩× ٢٩× ٥ و٢٩× ٢٩× ٦سم ذات ألوان مختلفة مما يدل على أنّ أسس القواطع الدّاخلية لهذه الدّار قد شيدت من آجر منتزع من محلات أخرى.

لم يعثر على بقايا تباليط من الآجر أو بقايا زخرفة من الجص أو نقوش من الأصباغ حيث كما قلنا سابقاً لم يبق من هذه الدّار سوى الأسس وصفين من الآجر البارز فوق أرض البكر ونزع الباقي وشيد من نقضه أسس الطّبقة الثّانية بمستوى قريب جداً من مستويات الدّور الأوّل لهذه الدّار الأخيرة، ولعل الحفريات القادمة ستكشف النّقاب عن نقاط أخرى مفيدة تدلنا على شكل البناء ونوع ريازته بصورة قريبة من الواقع.

تعيين أزمنة الطّبقات استناداً إلى المواد الأثرية

يظهر مما تقدم أننا استندنا إلى طبقات الأبنية الّتي وجدت بقاياها في حفائر التّنقيبات لاستنتاج التّسلسل الزّمني لكلّ طبقة مفترضين أنّ الطّبقة السّفلى منها تعود إلى دار الإمارة الأوّلى غير أنّه بالإضافة إلى ذلك باستطاعتنا أن نؤيد أزمان بعضها استناداً إلى اللقى الأثرية الّتي عثر عليها أثناء التّنقيب، وأهم ما تتألف منه هذه اللقى كسر الفخار والآجر والنّقود والزخارف.

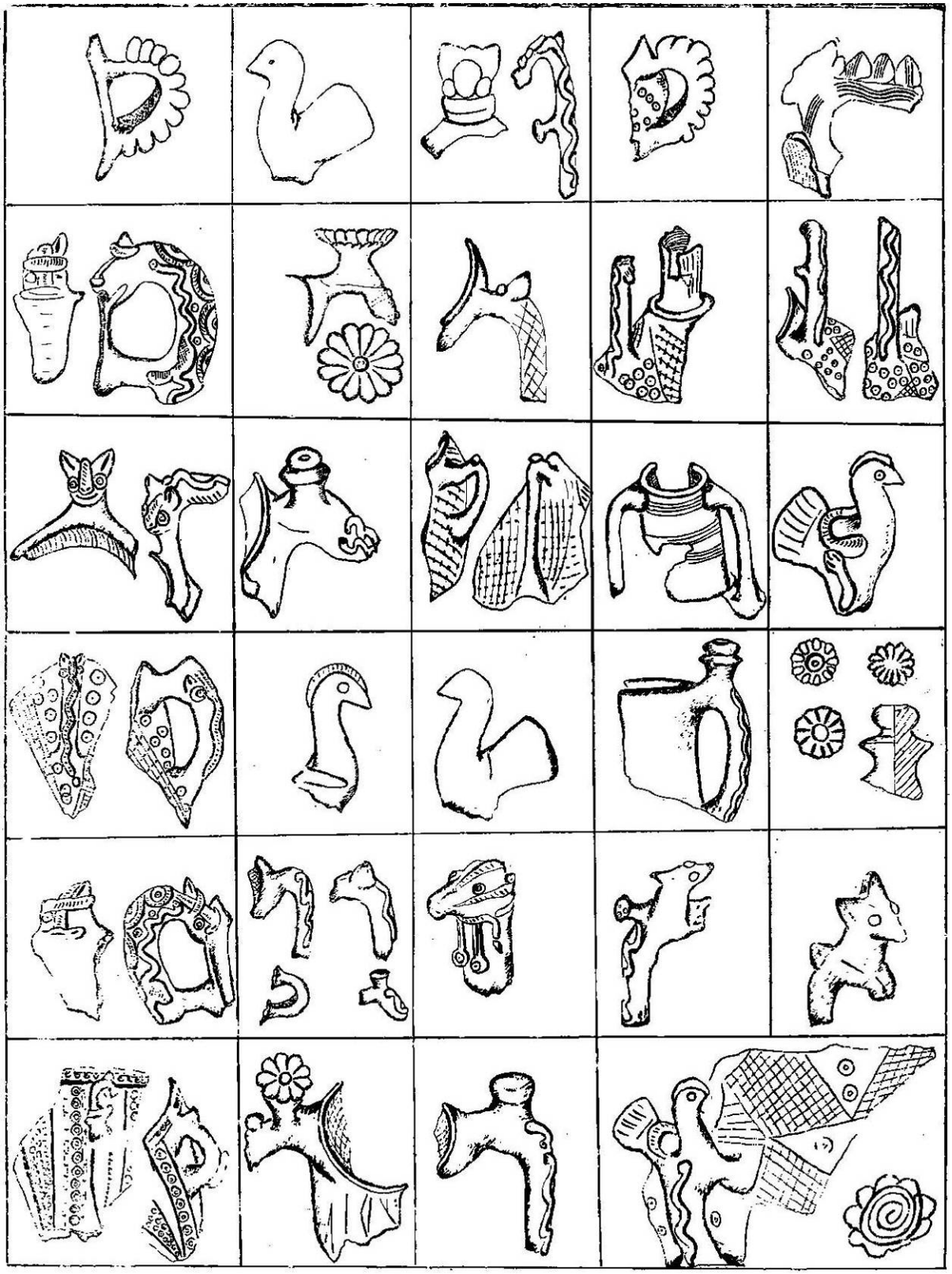

الشكل : ٥ : مجموعة من قبضات أواني الفخار المنقوش أوائل العصر العباسي

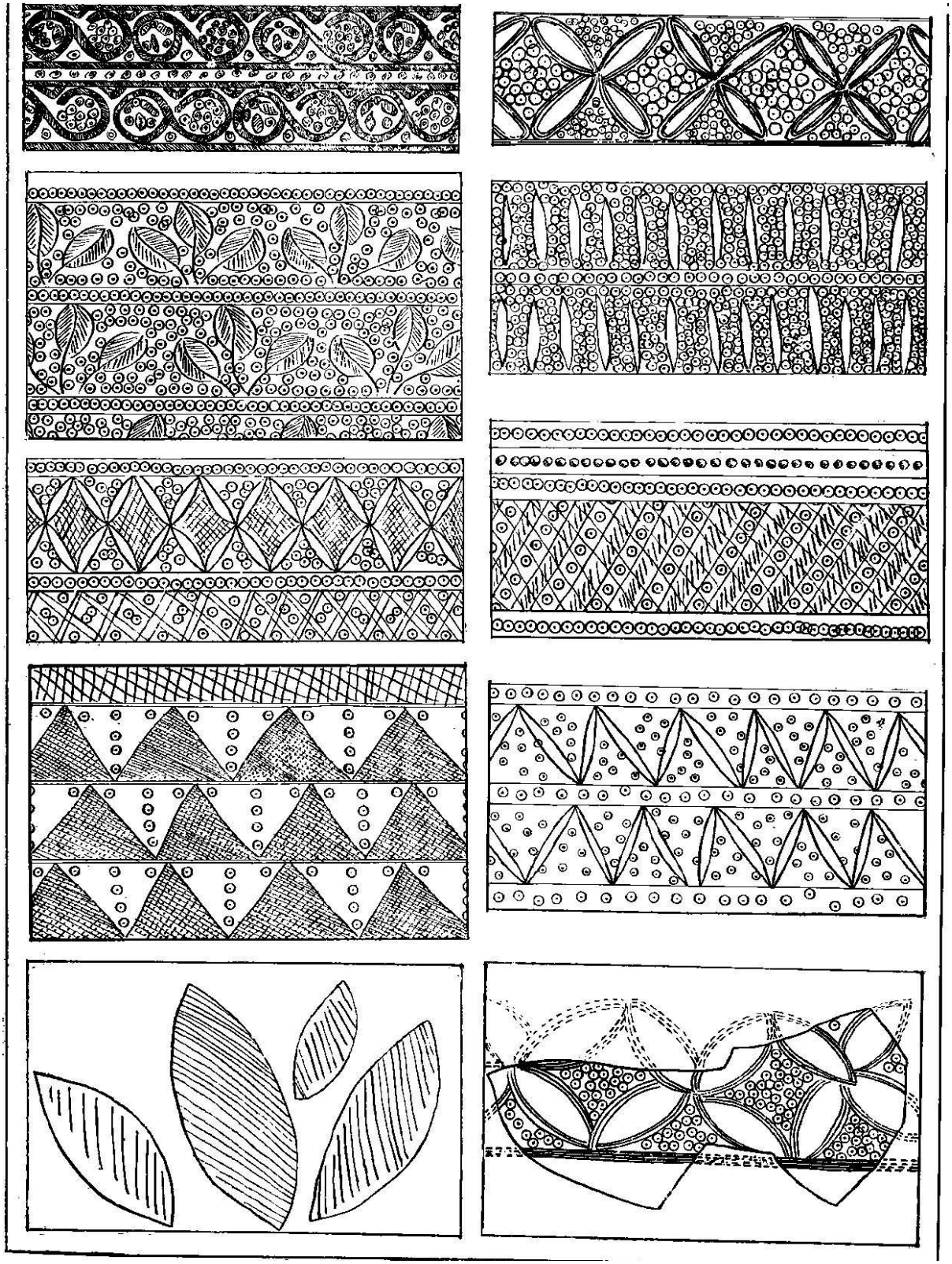

الشكل : ٦ : نماذج من نقوش الفخار

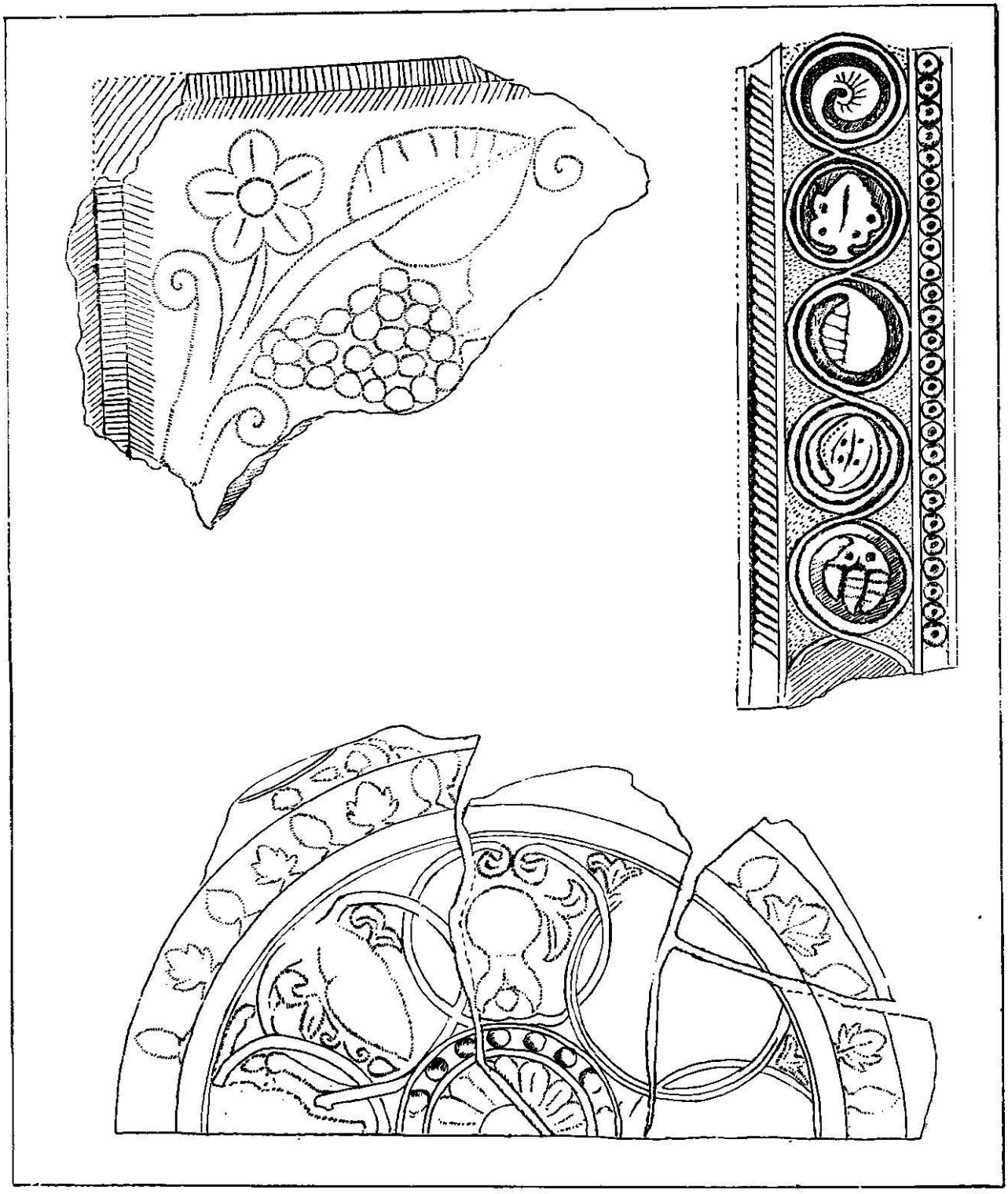

الشكل ٧ : الزخارف الجص

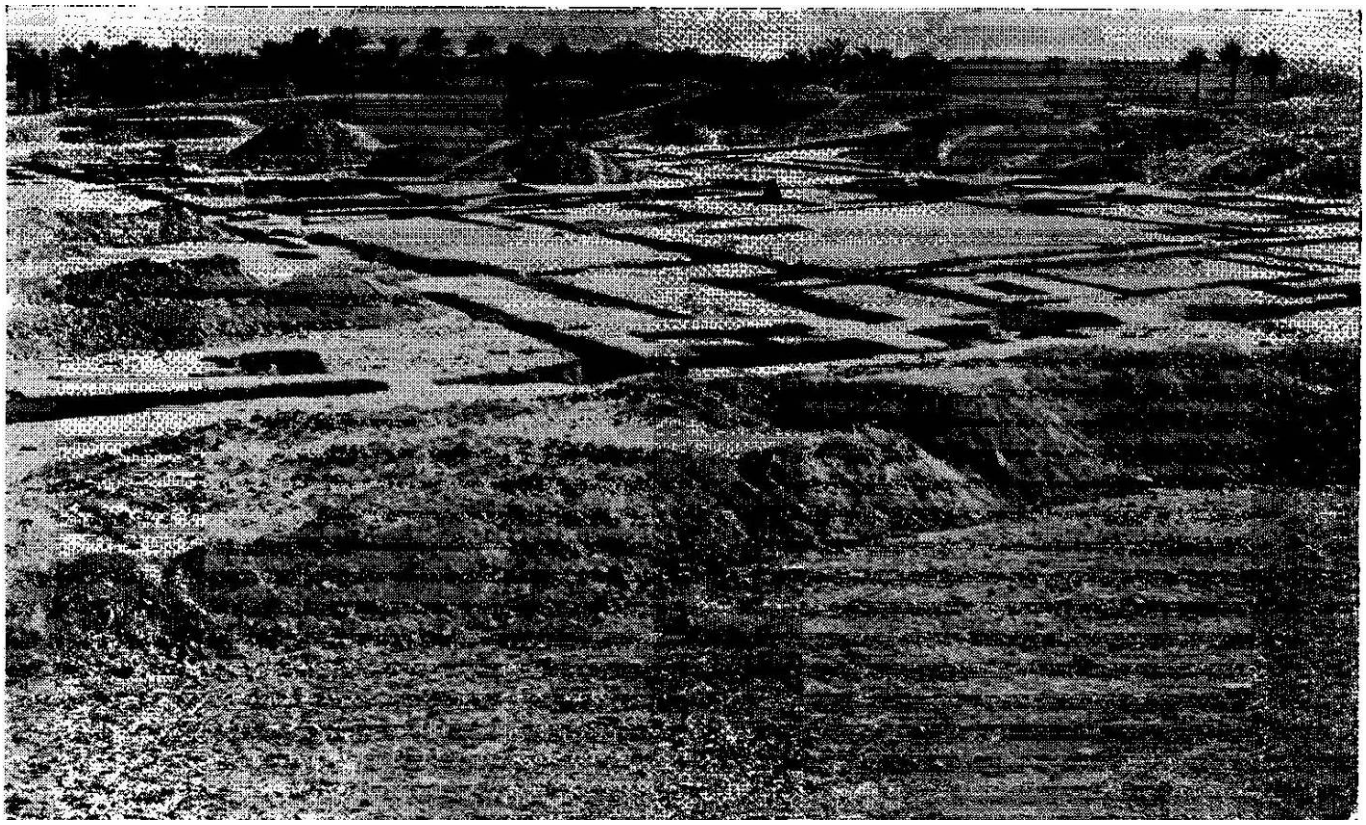

الشكل ٨ - آ

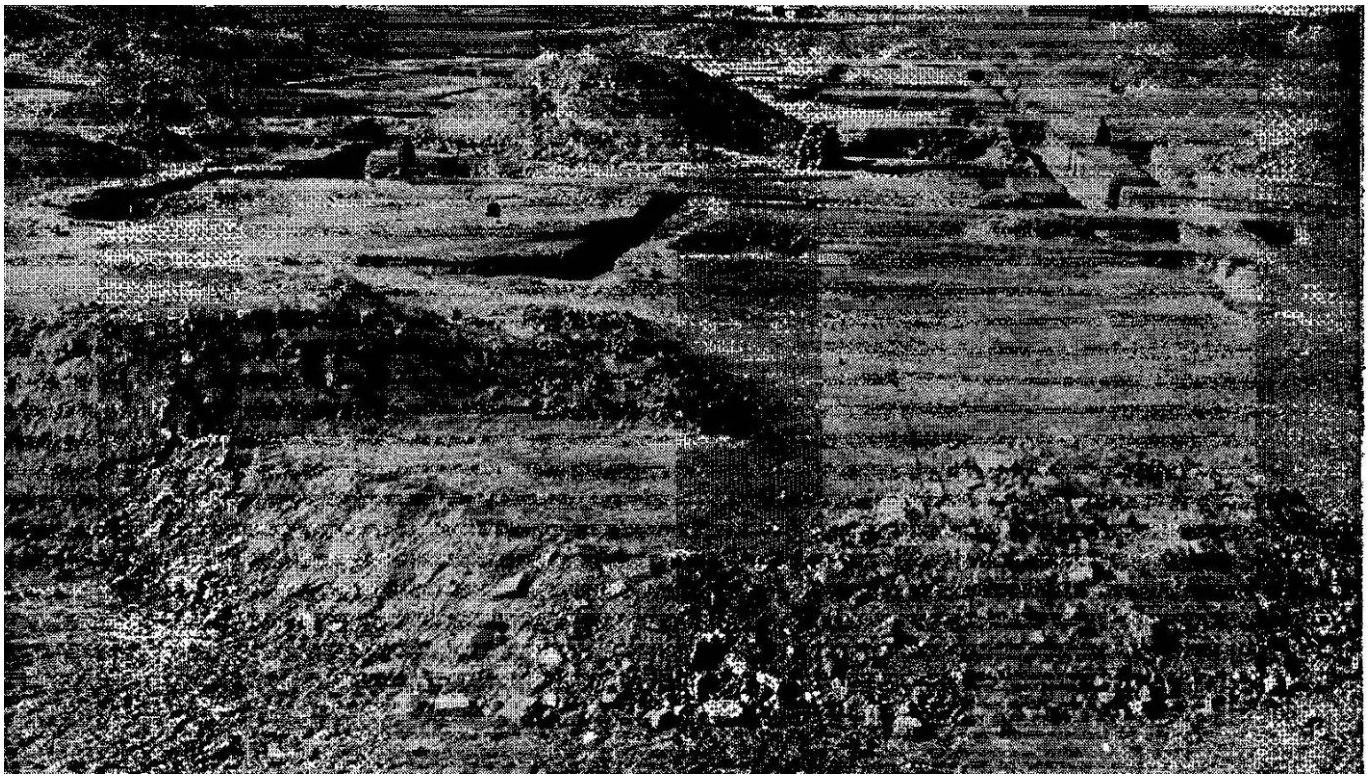

الشكل ٨ - ب

وجدنا في أثناء استظهار بقايا الطّبقة السّطحية عدداً من جدران شيدت بالآجر الصّغير الشّائع الاستعمال في العصور الألخانية وكذلك عثر على بعض كسر الفخار الّتي ترقى إلى هذا الزّمن أيضاً، ونقود ممسوحة يظهر من حواشيها وشكلها أنّها من نوع النّقود الألخانية وكذلك عثر على كسر من الفخار المسمى «بالكرافيانو» وكسر أخرى مزججة ذات عجينة صفراء شبيهة بفخار سامراء تحت مستويات الطّبقة العليا مما يدل على أنّ بقايا سكنى تعود إلى القرن الثّالث والرّابع للهجرة قد حصلت في هذه الطّبقات ولربما تعود إليها الغرف المشيدة في القسم الشّمالي من القصر الأخير ولصق الضّبع الجنوبية من الخارج لمسجد الجامع.

أمّا الطّبقة الثّالثة والّتي كشف عن أكثر مرافقها فتضم تباليطها كسراً من أوان كاملة تقريباً صنعت من الفخار الرّقيق والمزخرف بنقوش محززة ومنها ملقمة، وهو يعود إلى عصور معلومة لا يتجاوز زمنه القرن الثّاني للهجرة، وتحتوي هذه الكسر على عدد قبضات صورت على هيئة طيور وحيوانات مختلفة الأشكال وذات نقوش بارزة انظر الشّكل «٥» و«٦»، وتؤيد صناعة الفخار هذه جميع النّقود المكتشفة في هذه الطّبقة حيث أنّها تعود كلّها إلى أوائل العصر العباسي، بعضها من زمن المنصور والأكثر من ضرب الخليفة العباسي المهدي وآخر تاريخ ظهر في أحدها هو سنة ١٦٦ هجرية ضرب الكوفة باسم المهدي.

وبالإضافة إلى ما تقدم فإنّ الزّخارف الّتي عثرنا عليها بين أنقاض هذه الطّبقة أو على وجوه بعض الجدران يتفق زمنها وزمن النّقود والفخار انظر شكل «٧» وعلى هذا فيمكن القول أنّ الطّبقة الّتي في أسفلها تعود إلى زمن أبعد هو العصر الأموي.

وكذلك عثرنا على دينار ذهب بزنطي كان متداولاً في أوائل العهد الإسلامي قبل ضرب الدّينار الأموي من قبل الخليفة عبد الملك سنة ٧٦ للهجرة[١] وقد وجد هذا الدّينار فوق تبليط قرب قاعدة برج الرّكن الجنوبي الغربي للطبقة الأولى وهذا التّبليط على علو ٤٥سم فوق الأرض البكر ويعود إلى أوائل الطّبقة الثّانية وأواخر زمن الطّبقة الأولى، وهذا الدّينار من دنانير هرقليوس نرى في وجهه صور هرقليوس وولديه وعلى رأسهم التّاج ذو الصّليب وفي أيديهم اليمنى الصّولجان، وفي وجهه الثّاني الدّكة أو المنصة الّتي تحمل الصّليب، أمّا الكتابة فبالحروف اللاتينية.

أمّا كسر الفخار القليلة الّتي وجدت في هاتين الطّبقتين فتشبه كسر فخار العصور الإسلامية الأولى ولا تختلف عن الفخار المستعمل في العراق في أواخر العصر السّاساني وأوائل عهد الإسلام، وكان بودنا أن نطابق الأخبار التّاريخية في المراجع الإسلامية المختلفة كفتوح البلدان للبلاذري وتاريخ الطّبري ومعجم البلدان وغيرها من النّصوص التّاريخية الّتي ذكرت تخطيط مدينة الكوفة القديمة على نتائج التّنقيبات هذه غير أنّه بالنّظر إلى عدم إنجاز تنقيباتنا في هذا الموقع قد حال دون ذلك ونأمل أن تتاح لنا الفرصة في المواسم القادمة لتحقيق ذلك.

(١) الدّينار الإسلامي في المتحف العراقي من ص١٩ إلى ٢٤ للسيد ناصر النقشبندي مدير المسكوكات في مديرية الآثار القديمة العامة.

(٢)

تقرير أوليّ

عن التّنقيب في الكوفة للموسم الثّالث(*)

مقدمة:

اقتصر التّنقيب في الكوفة في الموسم الثّاني في بادئ الأمر على حفر المقاطع الطّولية في أماكن معينة لمعرفة نوع الأبنية ضمن السّور الخارجي المكتشف في حفريات الموسم الأوّل عام ١٩٣٨، وقد تمكنا في خلال الأسبوع الأوّل من ابتداء العمل من العثور على السّور الدّاخلي وبعض أجزاء دار الإمارة وتعيين نقاط هندسية كافية مكنتنا من تتبع أوجه الجدران الدّاخلية لمرافق الدّار وذلك بحفر الخنادق الموازية لها، وبإضافة بعض المقاطع العمودية في بعض النّقاط المهمة من الدّار تمكنا من أن نميز بل نحدد أكبر قسم من المخطط الأفقي لجنوبي دار الإمارة الواقع ضمن السّور الدّاخلي، وأن نلم بعدد الطّبقات البنائية المشيدة في تلك البقعة على وجه التّقريب، وقد نشرت نتائج ذلك الموسم في تقرير أوليّ في مجلة سومر «الجزء الأوّل من المجلد العاشر الصّادر سنة ١٩٥٤».

وكانت النّية متجهة إلى استئناف التّنقيب للموسم الثّالث في سنة ١٩٥٥ غير أنّ أعمالاً اضطرارية أخرى حالت دون التّنقيب حتّى عام ١٩٥٦ حيث أوفدت هيئة تنقيبات كاملة في أواخر شتاء هذا العام وبدأت أعمالها في أواسط شهر شباط واستمرت في العمل حتّى نهاية شهر أيار أي نحو ثلاثة أشهر ونصف بمعدل مئة وعشرين عاملاً فنياً ومحلياً.

وكانت الهيئة مؤلفة من كاتب المقال رئيساً لها والسّادة: سالم الآلوسي لأعمال الهندسة والمسح، وكاظم

(*) عن: مجلة سومر، المجلد ١٢، ج١و٢ لسنة ١٩٥٦م ص٣-٣٢.

الجنابي لتسجيل الآثار وإدارة المفر، وحسن عزام للمحاسبة وأعمال الكتابة وعيسى الطّعمة لمراقبة العمال أثناء التّنقيب، كما التحق المصور السّيد جعفر الحسيني لتصوير ما استظهر من الأماكن المنقب فيها، وقد قامت هذه الهيئة نفسها بأعمال الكشف المنظم في موقع كبير يقع في الحيرة جنوب الكوفة مدة شهر ونصف، بمعدل ثلاثين عاملاً فاستظهرت نقاطاً مهمة من الموقع المذكور الّذي ينطوي على بقايا قصر فخم كبير شيد من الحجر والجص والآجر واللبن، يعود إلى العصر العبّاسي الأوّل، وسننشر عنه بعض المعلومات الأولية في تقرير آخر.

تنقيبات الموسم الثّالث

بوشر بالتّنقيب في ادار الإمارة للموسم الثّالث في ١٩٥٦/٢/١٢ وذلك في أقسامه الشّمالية الّتي لم يجر فيها سوى تحريات أولية في الموسمين السّابقين كما يشاهد من المخطط الّذي نشر في التّقرير السّابق، وانحصر التّنقيب في أوّل الأمر في سبر هذه المنطقة من الدّار في عدة محلات للاطلاع على ما تستبطنه من جدران وأبنية ومعرفة مستوياتها حتّى يتسنى لنا معرفة سمك النّقض الّذي يلزم رفعه، وقد حصلنا في الأسبوع الأوّل على شيء من المعلومات المهمة الّتي سهلت لنا سير التّنقيب المنظم، فقد عرفنا حدود المنطقة الخالية من الجدران والمناطق الّتي تكثر فيها بقايا الغرف والقاعات، وتمكنا بواسطة عربات النّقل وسكة الحديد الّتي وضعت في محلات مختارة من الدّار من رفع جميع النّقض الواقع بين الغرفة المضلعة «٣٤» وبين الضّلع الشّمالية للسور الدّاخلي حيث بلغت كميته نحو ٢٥ ألف متر مكعب نقل إلى محلات بعيدة عن الدّار تقع خارج السّور الخارجي.

نتائج التّنقيب للموسم الثّالث

ذكرنا في التّقرير السّابق[1] أنّ دار الإمارة تضم بقايا عدد من الأبنية المنشأة إحداها على بقايا الأخرى الّتي هي أقدم منها وترتيب تسلسلها الزّمني هو كما يأتي:

١- الطّبقة الأولى: في مكان دار الإمارة، تنزل أسسها إلى عمق «٩٠» سنتمتراً في الأرض البكر وهي أوّل بناية شيدت في هذا الموقع.

٢- الطّبقة الثّانية: وتتكون من قصر يحيطه سوران داخلي وخارجي ولربما شيد السّوران في زمن واحد على أننا نرجح كون السّور الدّاخلي قد شيد قبل الخارجي.

٣- الطّبقة الثّالثة: قصر عبّاسي له سوران سور خارجي وهو سور الطّبقة الثّانية نفسه بعد ترميمه وسور داخلي جديد يضم بنايات عديدة متنوعة التّصاميم والاتجاهات والأغراض وقد شيد جميعها بعد نقض القصر الثّاني الأموي، غير أننا بعد تحرياتنا الواسعة في هذا الموسم ورفع جميع النّقض من القسم الشّمالي من الدّار وكشفنا عن الدّور وجدرانها كشفاً تاماً وفحصنا أسسها تبين لنا أنّ القصر العبّاسي لم يكن مستحدثاً كلياً كما كنا نظن قبلاً، بل إنّ معظم الدّور الواقعة داخل السّورين والسّورين نفسهما والمشيدة في الطّبقة الثّانية من العصر الأموي قد أعيد استعمالها في القصر العبّاسي في الطّبقة الثّالثة بعد ترميمها وتعلية تباليطها وكساء جدرانها بالجص مجدداً وفتح بعض الأبواب الجديدة وترك بعض المحلات أو توسيعها وجعلها ساحات جديدة، ولم يستحدث من الأبنية الجديدة في الطّبقة الثّالثة في دورها الأوّل عدا الوحدة البنائية الكائنة في الجانب الشّمالي الغربي من الدّار الّتي تحتوي على السّاحة الكبيرة رقم (١٠٠) والبهو الواسع (٥٥) مع مرافقه الجانبية انظر المخطط الأرضي الشكل(١).

الطبقة الثالثة لدار الإمارة في دورها الأول:

تتألف دار الإمارة في الكوفة في الطبقة الثالثة في دورها الأول من سورين خارجي وداخلي. السور الخارجي هو نفس السور الذي شيد في العصر الأموي والذي يرجع إلى الطبقة الثانية أعيد استعماله بعد ترميم الأوجه الخارجية منه وعلى الأخص معظم أبراجه. إلا أننا لم نجر التحري الكامل في أقسام هذا السور ولم تكشف عن بقية أجزائه سوى المدخل الكبير في الضلع الشمالية منه التي شيدت في الدور الثاني من الطبقة الثالثة أو بعدها. فقد تبين لدينا أن مستوى عتبة هذا الباب ومستوى أرضيتها أعلى بكثير من مستوى تبليط الآجر للطبقة الثالثة في دورها الأخير، ولذا فهي لا تعود إلى الأزمنة الأموية أو العباسية الأولى بل استحدثت بعد نقض الجزء الكبير من الضلع الشمالية في الدور الثاني من الطبقة الثالثة أو بعدها بقليل.. انظر الشكل(٢).

ويتكون السور الخارجي من أربعة أضلاع تقرب من المربع حيث تصبح أبعاده الداخلية ١٦٨،٢٠ متراً من الشمال إلى الجنوب و١٦٩،٦٨ متراً من الغرب إلى الشرق. أما سمك جدار السور فلم نتمكن من ضبطه حيث لم نعثر على وجه كامل له من الخارج لكثرة النقض ورفع الحجارة منه، إلا أن في وسعنا القول إجمالاً أن سمك السور الخارجي نحو أربعة أمتار. وتدعم السور من الخارج ثلاثة أبراج في الأركان الثلاثة أما الركن الشمالي الغربي فهو خال من البرج الرابع حيث يتصل بسور المسجد الذي يمتد

(١) سومر «١٠، ١٩٥٤، ص٧٣».

نحو الغرب إلى مسافة كبيرة. وبين كل برجين من أبراج الأركان الأربعة أنصاف أبراج يقدر عددها بستة. ومعدل قطر كل برج منها نحو ٣،٦٠ متراً والمسافة القصوى بين برج وآخر نحو ٢٤،٦ متراً وأقصرها نحو ٢٢ متراً. وقد أعيد استعمال الغرف المشيدة لصق هذا السور من الداخل في الطبقة الثانية بعد تعلية أرضيتها وترميم بعض الأجزاء منها وتبديل أو تضييق أبوابها. ومعظم هذه الأواوين والغرف لصقت على السور بلا ربط وبهذا فهي لم تكن من صلب البناء بل كانت متأخرة بالنسبة إلى السور. وقد كشفت عن ثلاث غرف قرب الزاوية الشمالية الغربية وثلاث أخرى شرقي الباب الكبير في الضلع الشمالية وذلك خلال تنقيبات الموسم الأول وعن أيوانين على الضلع الجنوبية وعن حمام يقع شمالها وذلك في الموسم الثاني وعن بعض جدران تعود إلى الطبقتين الثانية والثالثة قرب البابين الوسطيين للسور الداخلي والخارجي في القسم الشمالي من الدار وذلك في الموسم الثالث الأخير. إلا أن جميع هذه الأجزاء المكتشفة لا تساعد على إعطاء فكرة واضحة عن المرافق المشيدة لصق هذا السور وما بين السورين في الطبقتين الثانية والثالثة. ولهذا لا مناص من الكشف عن الأجزاء الباقية في مواسم أخرى ليتسنى لنا الحصول على مخطط كامل لهذه الأقسام في كل دور من الأدوار البنائية التي مرت على دار الإمارة.

أما السور الداخلي فمربع الشكل أبعاده من الداخل ١١٠،٣٦متراً غرباً شرقاً و١١٠،٢٤ متراً شمالاً جنوباً. وهو سور الطبقة الثانية الأموية عينه أعيد استعماله بعد ترميم ظاهره ويتراوح ثخنه بين ١،٧٨ و١،٨٢ متراً وتدعم جوانبه وأركانه من الخارج أبراج نصف دائرية معدل قطر كلّ منها نحو ثلاثة أمتار وعددها عشرون استظهر منها لحد الآن ثلاثة عشر برجاً انظر المخطط الشكل «١».

وقد قسمت السّاحة المحصورة بين جدران هذا السّور إلى ثلاثة مستطيلات طولياً من الشّمال إلى الجنوب، أوسطهما أعرض من الجانبين فعرضه ٣٧،١٠ متراً بينما يبلغ عرض كلّ من المستطيلين الجانبيين نحو ٣٥،١١ متراً أو أكثر بقليل.

للمستطيل الوسطي باب رئيسي يؤدي إلى مجاز مستطيل «٧٩» بموازاة الضّلع الشّمالية ومنه إلى باقي الغرف الّتي تشكل الوحدة البنائية الأمامية لمدخل الدّار في القسم الشّمالي من القصر، وقد شيد الباب في زمن الطّبقة الثّانية في دورها الأوّل وكانت تتكون في بادئ الأمر من فتحة داخلية عرضها ٢،٧٠ متراً ويبرز في شمالها فخذان بعرض ٥٥سم من كلّ جانب فتصبح فتحة الباب الخارجية نحو ١،٦٠ متراً إلا أنّه قد أضيفت دعامتان على جانبي الفتحة الكبيرة من الدّاخل بموازاة الفخذين السّابقين في الدّور الثّاني من الطّبقة الثّانية فأصبح الباب على عرض واحد من المنكبين إلى واجهة المجاز، ويرى من الشّكل «١» والمخطط الأفقي والعمودي الشّكل «٤» على أنّه قد أضيفت إلى الباب في بعض الأدوار الأولى من تأسيسه دعامتان على شكل ربعي برجين تتصلان بجدارين مائلين يذهبان إلى البرجين الجانبيين وبهذا يصبح الباب داخل عقد عمقه ١،٨٠ متراً وعرضه نحو ثلاثة أمتار، وفي جانبي هذه الفتحة الأخيرة شيدت دكتان طول كلّ واحدة ١،٨٠ متراً وعرضها نحو ٥٠سم، ويدخل من هذا الباب إلى المجاز «٧٩» بين دكتين واطئتين شيدتا من الجص تمتدان من الباب إلى جانبي الحنية الكائنة في الجدار الجنوبي للمجاز، وفي وسط هذه الحنية الّتي يبلغ عمقها ٤٥سم وعرضها ١٧٥سم وجدت بقايا عتبتين أو «درجتين» ولا نعلم ما إذا كانت هذه الحنية والعتبتان تؤلف بقايا باب كان يولج منه إلى الغرفة «٨٦» بعتبات قد ذهبت معالمها ولم يبق منها سوى عتبة واحدة وبقايا عتبة ثانية أعلى منها بقليل وهو ما يطابق المنطق في مثل هذه الأحوال حيث نرى ما يقابلها من باب مرتفع يولج منه بواسطة درجتين تقع في المجاز «٨٥»، ويؤيد هذا الغرض وجود دعامتين متقابلتين على جانبي هذه الحنية تحملان العقد المفترض وجوده فوق المدخل الكائن قبالة الباب الرّئيسي، إلا أننا جعلنا الجدار بقطعة واحدة ولم نفرض وجود الباب لعدم عثورنا على حل بين مداميك الآجر على جانبي الحنية، وكذلك لم نعثر على بقايا عتبة تثبت وجود مثل هذا الباب.

غير أننا نظن أنّ الباب وعتبته قد ذهب بعد قص جدران هذه الطّبقة إلى مستوى واحد تحت تبليط الطّبقة الثّالثة في دورها الثّاني، ومن المجاز «٧٩» وعرضه خمسة أمتار يذهب الدّاخل إلى مجاز أو ممر يقع في شرقي هذه الوحدة البنائية ورقمه «١٠٧» وهو غريب الشّكل وجدت على جانبيه الشّرقي والغربي حنايا ذات عقود مازال القسم الشّرقي منها محافظاً على بعضها إلا أننا نستغرب لانعدام التّناظر في وضع هذه الحنايا ودعائمها في الجانبين المتقابلين، ولم يزل القسم الجنوبي من هذا الممر تحت الأنقاض، وفي غربي هذا المجاز غرفة مستطيلة الشّكل «٧٥» طولها ١١،١٥ متراً وعرضها ٤،١٧ متراً تتصل بالغرفة الوسطى الكبيرة «٨٦» بباب ذي درجات ثلاث حيث أنّ مستوى أرضيتها أوطأ بكثير من أرضية القاعة «٨٦»،

وتتصل كذلك بالمجاز «٨٥» بواسطة باب ذي عتبة عالية نحتت في الجدار في زمن الطّبقة الثّالثة في دورها الأوّل، أمّا الغرفة الوسطية «٨٦» فأبعادها ٥× ١٤،١٧متراً وتتصل بالغرف المجاورة بأربعة أبواب: بابين في الجانب الجنوبي يؤديان إلى المجاز «٨٥» الغربي منهما واطئ والوسطى منها ذو درجتين، وباب في وسط الجدار الغربي يفضي إلى الغرفة رقم «٧٨» فتحته نحو ١١٥سم، ونرى تناظراً واضحاً في تشييد هذه الوحدة البنائية حيث أنّ الغرفة «٩٩» تناظر المجاز «١٠٧» والغرفة «٧٨» تناظر الغرفة «٧٥» غير أنّ الأولى جعل منها حماماً في الطّبقة الثّالثة من الدّور الأوّل، والثّانية «٧٥» قسمت بين غرفتين بقاطع مستحدث، وعثرنا في الحمام «٩٩» على أرضية مزفتة في القسم الجنوبي وعلى محل نزع الملابس في القسم الشّمالي ولايزال بقايا آثار دكة في الجانب الغربي من الحمام قد رفعت تماماً وكذلك توجد بعض معالم بناء مرفوع في الوسط ويقع شمال الأرضية المزفتة مما يظن أنّه بقايا موقع خزان المياه لهذا الحمام، إلا أنّ التّخريب الواسع الّذي ألمّ بهذا القسم من البناء قد أزال معظم معالمه المعمارية الّتي كنا نأمل أن تعيننا لو بقيت على معرفة خصائص كلّ غرفة على حدة.

ويحد الغرفة الوسطية «٨٦» في الوحدة البنائية للمدخل إيوان أو مجاز واسع «٨٥» طوله ١٤،١٧ متراً وعرضه ٤،٦٥ متراً وفي واجهته المطلة على السّاحة «٩١» ثلاث فتحات بين عمودين ذاهبين ونصفي عمودين على الجانبين الشّرقي والغربي لم نعثر إلا على نصف العمود الشّرقي منها، إلا أننا يمكننا أن نفترض حال الباقي من التّناظر الموجود في الجبهات الأخرى المطلة على هذه السّاحة، ففي كلّ جانب منها ثلاث فتحات أو بوائك تتصل بالمجازات المستطيلة في الجبهات الثّلاث الشّمالية والغربية والشّرقية وبهو كبير ذو أروقة في الجانب الجنوبي.

وقد هدم القسم الكبير من الجدار الجنوبي لهذه الوحدة وبضمنه الأعمدة للإيوان «٨٥» حينما حفر خندق في الأدوار المتأخرة لتشييد مجرى لتصريف المياه، وقد شاهدنا آثار هذا الخندق آتية من خارج الضّلع الغربية للسور الدّاخلي قاطعة السّور بمحاذاة البرج الأوّل بعرض ١،٣٨ متراً وتمر نحو الشّرق قاطعة الضّلع الغربية والشّرقية للساحة «١٠٠» وتستمر نحو الشّرق حتّى العمود الشّرقي للمجاز «٨٥» انظر الشّكل «١».

ويحتوي المستطيل الوسطي كذلك على السّاحة الرّئيسية الكبيرة «٩١» وهي مربعة الشّكل ٣٧× ٣٧ متراً متناظرة الجبهات حيث تطل عليها من الجوانب الأربعة بوائك أو فتحات ثلاث، الجنوبية منها واسعة وتؤدي إلى الوحدة البنائية الرّئيسية المؤلفة من البهو الكبير ذي الأروقة وأبعاده من الدّاخل ١٧،٨٦ متراً من الشّرق إلى الغرب و ١٦،٢٠ متراً من الشّمال إلى الجنوب وفي منتهى هذا البهو القاعة المضلعة ذات الحنايا الأربع المستطيلة الشّكل «٣٤» وفي البهو صفان من الأعمدة كلّ صف بثلاث أساطين ويقابل هذين الصّفين نصفا عمودين على جانبي المدخل الرّئيسي للقاعة المضلعة، وقد أضيفتا لصق واجهة القاعة أي أنّهما لم تكونا من صلب بناء تلك الواجهة، وقد يدل هذا على أنّ جميع أساطين هذا البهو وأروقته قد أضيفت إلى القاعة المضلعة في دور متأخر من أزمنة الطّبقة الثّانية الأموية وسنرى في المستقبل عند تغلغلنا في الطّبقات السّفلى ما إذا كان هذا الافتراض صحيحاً.

الرّواق الوسطي «٨٣» واسع تبلغ المسافة بين الأعمدة نحو ٥،٧٤ متراً بينما بلغ عرض الرّواقين والجانبين «٨٤،٨٢» نحو ٤،٢٠ متراً وبهذا يصبح الرّواق الوسطي بمثابة صحن البهو nave ويبرز كل من نصفي العمودين الجانبيين في الجبهة المطلة على السّاحة «٩١» بنحو ٧٥سم وبهذا تصبح الفتحة الوسطية من البوائك المطلة على السّاحة أوسع من الفتحتين الجانبيتين بمقدار ٢،٣٠ متراً وبهذا سيكون عقدها أعلى من العقدين الجانبيين بمقدار ٢،٣٠ متراً هذا فيما إذا كان العقد على شكل نصف دائرة.

ويشبه هذا البهو والقاعة الطّراز الكنائسي الباسليقي Basilie المتكون من الأروقة الثّلاثة والمنتهي بالقاعة ذات الحنايا الدّائرية.

وتتكون القاعة «٣٤» من مربع طول ضلعه ٥،٩٠ متراً فتحت في أضلاعه الأربع أربع حنيات مستطيلة الشّكل Apses عمق كل واحدة منها ١،٨٥ متراً فيصبح العرض الكلي للقاعة نحو ٩،٦٠ متراً وفتحت في وسط هذه الحنايا الأربع أربعة أبواب واسعة عرض كل منها ١،٤٥ متراً الشّمالي منها يحتوي على عضادتين مزخرفتين بالستوق Stucco نشر زخرفهما في التّقرير السّابق[1].

وتكتنف هذه القاعة من الجانبين الشّرقي والغربي غرفتان الأولى «٨٨» مستطيلة الشّكل طولها ٩،١٧ متراً وعرضها ٣،٣٠ متراً بينهما باب، ويحتوي الجدار الشّرقي لهذه الغرفة على بابين يفضيان إلى مجاز يفصل بينهما وبين الوحدة البنائية الشّرقية ذات الفناء «١٠» والثّانية الغرفة «٣٣» وهي مستطيلة الشّكل كذلك أبعادها ٩،٦٠× ٦،٩٥ متراً لها أربعة أبواب أصلية في كل جانب منها.

(١) مجلة سومر، ج١، مجلد ١٠، الشّكل ٧.

ثلاثة منها واسعة الفتحات أمّا الباب الشّمالية فضيق حيث تبلغ فتحتها نحو ٧٥سم، وكذلك يفصلها عن الوحدة البنائية الغربية ممر عرضه ٢،١٥ متراً يتصل بالغرفة المفترضة «١٠٩» بفتحة واسعة بينما يتصل من الجنوب بالغرفة «٣٧» بباب مغضّن جانبه الغربي وذو منكب قليل الغور من الجانب الشّرقي، ويحد الرّواق «٨٤» من الجانب الشّرقي ممر ضيق «٧٠» عرضه ١،٥٠ متراً له ثلاث فتحات تؤدي إلى الرّواق المذكور.

ويتصل ببابين بالغرفة «٢٢» وبالسّاحة «٩١» بباب عرضها ١،٢٣ متراً وينحرف في الجنوب نحو الشّرق ويشكل الممر «٢١» ويتصل بالممر الجنوبي بباب فتحتها ١،٤٠ متراً، ويماثل هذا الممر والغرفة «٢٢» في الجانب الغربي ممر وغرفة واسعة هما «١٠٨ و١٠٩» وقد افترضنا وجودهما لبعض الأدلة المعمارية الّتي تثبت لنا هذا الافتراض وهي الجدار الفاصل بين الرّواق «٨٢» والممر «١٠٨» والأبواب الثّلاثة الّتي تناظر الموجودة في الجانب الغربي وكذلك بروز فخذ باب في بقايا الجدار الشّمالي وتعرج نهاية الجدار في الزّاوية الشّمالية الغربية من الغرفة «١٠٩» إلا أنّ التّخريب الواسع في هذا الموقع رفع جميع الجدران إلى عمق غير يسير وأصبحت السّاحة «٥٤» غير المكشوفة تمتد نحو الشّرق حتّى نهاية الرّواق «٨٢» من الغرب وذلك في الدّور الثّاني من الطّبقة الثّالثة العباسية.

وتتصل القاعة المضلعة «٣٤» والغرفة «٣٣» بالسّاحة الجنوبية «٦» الّتي مازال معظمها تحت النّقض وهي مستطيلة الشّكل يحدها من الجنوب غرفتان مربعتا الشّكل هما «٤» و«٣» ومجاز «٥» يؤدي إلى باب جنوبي أصلي، ويحدها من الغرب إيوان غريب الشّكل فتحته غير متناظرة الجانبين وفي طرفي هذا الإيوان فتحتان طرفاهما المتعاكسان على شكل نصفي عمودين وقد وصفت هذه الأجزاء في التّقرير السّابق للموسم الثّاني إلا أنّ تغيير أشكالها أو إضافة أشياء جديدة عليها مازال قيد البحث حيث أنّها لم تكن كاملة التّنقيب وسيتم التّحري فيها في المواسم القادمة، ويستدل من تخطيط القسم الجنوبي من المستطيل الوسطي وطراز ريازته أنّه خصص لشؤون مهمة ولعلّه كان متخذاً مركزاً للإدارة، والغرفة المضلعة ذات الحنايا المستطيلة شبيهة بالقاعات ذات القباب المستديرة، ومما يجدر ذكره وجود شبه كبير بين تخطيط هذا القسم من دار الإمارة وما يقابله في الجانب الشّمالي من المستطيل الوسطي في قصر المشتى[1] فإنّ القصر المذكور قد قسمت ساحته إلى ثلاثة مستطيلات: الوسطي منها عريض وفي قسمه الشّمالي تقع قاعة العرش ذات الحنايا الثّلاثة المدورة Trifoliate وفي مقدمتها بهو كبير ذو ثلاثة أروقة شيدت فوق دعائم شبيه بأروقة دار الإمارة ذات الأعمدة المدورة، ويطل هذا البهو على السّاحة المربعة الواسعة الّتي يبلغ عرضها نحو ٥٧ متراً في قصر المشتى وهي تشبه كثيراً ساحة دار الإمارة «٩١» الّتي يبلغ عرضها ٣٧ متراً.

وقد خصصت هذه الوحدة البنائية المذكورة في قصر المشتى بالخليفة أو بالأمير، على ما يؤخذ من الاهتمام بريازتها والاعتناء بزخرفتها، ولذا نرى الشّبه الكبير من حيث الخصائص في دار الإمارة حيث ينطبق على الوحدة البنائية الواقعة في جنوب الدّار الّتي تتألف من البهو ذي الأروقة والغرفة المضلعة ومرافقها على أنّها خصصت لشؤون الدّولة أي ديوان الحكومة أو محل القائم بأعمال الإدارة.

أمّا المستطيل الشّرقي من الدّار وعرضه ٣٥،١٧ متراً فقد قسم إلى عدة دور مختلفة الأشكال والاتجاهات، ففي القسم الشّمالي من المستطيل تقع الدّار ذات السّاحة «١٠٢» المستطيلة الشّكل وأبعادها نحو ٣٠× ١٧،٨٠ متراً، ولا نعلم ما إذا كانت متصلة بالمستطيل الوسطي من الجانب الغربي فإنّ معظم هذا الجانب من السّاحة مازال مطموراً تحت النّقض، وتتصل هذه السّاحة بالغرف الشّرقية من باب في وسط الجدار الغربي للغرفة المستطيلة «٧٣» والّتي تبلغ مساحتها نحو ٤،٢٠× ١٦،١٥ متراً وبالغرفة «٧١» الموازية للضلع الشّمالية للسور الدّاخلي والّتي تبلغ سعتها نحو ٤،٢٠× ١٤،٩٥ متراً، ويطل عليها من الجنوب ثلاث حنايا ذات عقود شبيهة بحنايا وعقود المجاز «١٠٧»، ويدخل منها إلى الغرفة الصّغيرة «١٠٥» ومن هذه الأخيرة إلى الغرفة «٧٨».

ونرى من مجموع هذه الغرف السّت الّتي تقع في شرقي السّاحة «١٠٢» أنّ خمسة منها تتساوى في العرض انظر الشّكل «٥» حيث أنّ معدل عرض كل واحد منها ٤،٢٠ متراً، بينما تختلف الوسطى منها «٧٦» فيصبح عرضها نحو ٤،٩٠ متراً، وكذلك تتساوى خمسة منها في الطّول حيث يصبح معدل طول كلّ منها نحو ١٦،١٥ متراً وهي الغرف الوسطى الموازية للساحة والغرفتان الجنوبيتان

(١) راجع: Early Muslem Architecture, By K C. Creswell, pp, 351, 358.

المفترضتان «٧٨» و«١٠٦» المشيدتان عمودياً على السّاحة، بينما يصبح طول الغرفة الشّمالية الموازية للضلع الشّمالية للسور نحو ١٤،٩٥ متراً، وتتصل الغرف الوسطى كلها بالغرفة رقم «٧٨» بأبواب تقع في وسط الضّلع الجنوبية لكل من الغرف الثّلاث وبهذا تصبح الغرفة «٧٨» بمثابة ممر أو مجاز يولج إليه من السّاحة بواسطة فتحة كبيرة أمّا الغرفة المفترضة الأخرى «١٠٦» فلم نعثر على جدارها الجنوبي كاملاً ولهذا ليس لدينا معلومات كافية توضح علاقتها بالسّاحة الصّغيرة «٧٢» إلا أنّ الفتحة الموجودة بينها وبين الغرفة «١٠٥» واسعة ولربما كانت هذه الغرفة الأخيرة بمثابة مجاز يؤدي إلى «١٠٦» و«١٠٤».

بلطت الغرف الوسطى الثّلاثة «٧٤» و«٧٦» و«٧٣» بالآجر المربع بحجم ٢٠× ٢٠× ٤سم وذلك في أرضية الغرفة «٧٦» وبحجم ٢٢× ٢٢× ٤سم في أرضية الغرفتين الجانبيتين بينما لم نعثر على بقايا التّبليط في الغرفة الشّمالية «٧١» حيث توجد آثار تخريب عميق في أرضيتها.

أمّا في الغرف الأخرى لهذه الوحدة فلم نعثر على بقايا تبليط بهذا المستوى وتشكل أرضيتها من الدّفن وكسر الآجر في الطّبقة الثّالثة من الدّور الثّاني، وقد تركنا استخراج أرضية الطّبقة الثّالثة في دورها الأوّل لموسم آخر.

أمّا الوحدة البنائية الوسطى المطلة على السّاحة «٩١» فقد شيدت على الطّراز الحيري المتكون من المقدمة «المجاز» «٩٣» والقلب «الإيوان» «٩٥» والجناحين الأيمن «١٠٤» والأيسر «٩٢» ويضاف إلى هذه الوحدة الغرفة «١٠٣» وتستعمل عادة مخزناً أو مطبخاً على نحو ما في بيوت حصن الأخيضر، وقد اتخذت أحياناً في سامراء محلاً للمراحيض، ويكون طول المجاز في مثل هذه الأحوال بعرض القلب والجناحين إلا أنّ المجاز «٩٣» يقصر بقليل حيث نرى الجدار الشّمالي للمجاز لم يكن باستقامة الجدار الشّمالي للغرفة «١٠٤»، ويظن أنّ هذا الجناح الأخير قد وسع بعد مدة من الزّمن فأصبح أوسع من الجناح الأيسر بمقدار ١،٢٠ متراً وهو المقدار الزّائد عن طول المجاز «٩٣» والّذي يبلغ ١٤،١٠ متراً.

عرض المجاز ٢،٩٥ متراً وفي جبهته المطلة على السّاحة ثلاث فتحات ذات عقود، الوسطى منها واسع تبلغ فتحته نحو ٥،٣٥ متراً وهو أقل بـ ٤٠سم من فتحة الرّواق الوسطى «٨٣» للبهو الجنوبي، بينما يصبح عرض كل من الفتحتين الجانبيتين نحو ١،٦٥ متراً وقطر كل من العمودين الوسطين نحو ١،٥٠ متراً وبروز نصفي العمودين الجانبيين نحو ٧٠سم، وكلّها مشيدة بالآجر والجص، وعثرنا على بقايا زخرف ستوق يغلف نصف العمود الشّمالي، ويعود إلى زمن الطّبقة الثّالثة في دورها الثّاني وهذا الزّخرف هو الوحيد من نوعه في الأعمدة حيث لم نعثر على آثار تدلنا على أنّ الأعمدة وأنصاف الأعمدة الموجودة الأخرى في دار الإمارة كانت مزخرفة بالستّوق، ولعلّنا نتأكد من ذلك في مواسم أخرى.

شيد الإيوان الوسطى «٩٥» دون مناكب أي أنّه مفتوح في الأمام كما هي الحالة في أواوين البيتين H وB من مخطط الأخيضر لمس بل[1] وعرضه نحو ٥،٣٥ متراً أي بعرض فتحة العقد المقابل له، أمّا عمقه فيبلغ نحو ٧،٠٧ متراً ويتصل بالغرفة الشّرقية «المخزن أو المطبخ» بباب في وسط الجدار عرضه ١،٢٥ متراً، أبعاد الغرفة «١٠٣» ٦،٤٥× ٥،٤٠ متراً وقد زال القسم الوسطى من جدارها الشّرقي ولهذا لا نعلم ما إذا كانت متصلة بالسّاحة الصّغيرة «٧٢».

يختلف الجناح الأيمن في الأبعاد عن الأيسر نحو ٩،١٠× ٤،٢٠ متراً بينما يبلغ طول وعرض الغرفة «٩٢» ٧،٠٠× ٣،٠٠ متراً، وجدارها الجنوبي ذاهب معظمه وثمة بقايا باب مغضن فيها لا يزال المنكب الغربي على حالة جيدة غير أننا نظن أنّ الباب كان من الأبواب ذات العقود العالية وذلك لعمق حنيته من الدّاخل وبروز منكبه الغربي، وإذا فرضنا أنّه يقع في وسط الجدار فستكون فتحته حينذاك نحو ٣،٤٠ متراً وهو غريب الشّكل في مثل هذه الأحوال إذ أننا لم نجد ما يماثله في الطّراز الحيري الشّائع استعماله في سامراء أو الأخيضر، ويتصل المجاز «٩٣» وهذه الغرفة بالسّاحة الكبيرة المستطيلة «١٩» الّتي كشف عن قسمها الشّمالي فقط وتبلغ سعتها نحو ٢٥× ١٢،٣٥ متراً مربعاً وتتصل بها معظم الدّور الجنوبية حيث يحيط بها ممران من الجنوب والشّرق وتتصل بالغرفة «٢٢» من الغرب وبالغرفة «٩٤» في الجانب الشّرقي، إلا أنها لا تتصل مباشرة بالسّاحة الرّئيسية «٩١» في الطّبقة الثّالثة من دورها الأوّل وفتحت لها باب في الدّور الثّاني من الطّبقة المذكورة قرب الزّاوية الجنوبية الشّرقية من السّاحة «٩١» انظر الشّكل «٢».

الغرفة «٩٤» غير واضحة المعالم معظم جدرانها ذاهبة من جراء نقض الآجر غير أننا تمكنا من معرفة عرضها وطولها حيث يبلغان نحو ٣،٨٥ متراً و١٣،٦٥ متراً وتتصل بالممر الجنوبي «١٨» بباب ضيق فتحته ٧٢سم، ويولج إليها من السّاحة خلال باب ومن الغرفة «٩٢» بباب آخر واسع

(١) Bell, Palace and Mosque at Ukhaider, pl. 2.

عرضه ١،٨٥ متراً، ويقع في جنوب المستطيل الشّرقي داران الغربي منهما واسع تكتنف مرافقه السّاحة «١٠» والثّاني ويقع في الجانب الشّرقي وساحته «٢٤» وقد ورد ذكرهما في التّقرير الأوّل للموسم الثّاني وقد ورد ذكرهما في التّقرير الأوّل للموسم الثّاني غير أنّنا لم نكشف عن مرافق هذين الدّارين كشفاً تاماً مع عدا الغرفتين «٢٦» و«٣١» حيث وجدنا في الأولى أحواضاً لغسل الصّحون ومجاري من الفخار لتصريف المياه القذرة وفي الثّانية بقايا المواقد المستطيلة الّتي كانت توضع فوقها القدور وقد نزل فيها إلى الطّبقتين الثّالثة في دوريها الأوّل والثّاني والطّبقة الثّانية في دوريها الأوّل والثّاني كذلك، وقد استمر استعمال هاتين الغرفتين للطبخ وغسل الأواني في العصرين الأموي والعباسي.

أمّا باقي الأقسام المنقب فيها في هذا الموسم من المستطيل الشّرقي فهي الأماكن الواقعة بين غرفتي «١٦» و«١٣» من الجنوب وبين غرفة «١٠٦» من الشّمال، وتحتوي على السّاحة المفترضة «٧٢» وفناء لم يعرف شكله رقم بـ «١٤» وسبب ذلك يعود إلى التّخريبات الكثيرة الّتي حلت في هذا المحل من جراء نقض الآجر في الأزمنة الّتي مرت قبل تشييد تباليط الطّبقة الثّالثة في دورها الثّاني، حيث نرى أنّ معظم الأدلة الأثرية تدل على أنّ القسم الكائن بين الجدار الجنوبي للغرف الثّلاث «٧٤» «٧٦» و«٧٣» والجدار الشّمالي للغرفتين «١٣» و«١٦» قد حول إلى ساحة واحدة كبيرة يدخل إليها من الباب المستحدث في الضّلع الشّرقية من السّور الدّاخلي، ويعتمد تقسيمنا المفترض على بعض المعلومات المعمارية الّتي تعود إلى الطّبقات السّفلى من الدّار.

أبنية المستطيل الغربي من الدّار

لم تجر تنقيبات واسعة في هذا المستطيل ما عدا قسمه الشّمالي الّذي يضم الوحدة البنائية المشيدة فوق نقض بناية أقدم منها تماثل البناية ذات الطّراز الحيري في الجانب الشّرقي، وهذه الوحدة البنائية هي الوحيدة الّتي استحدثت في الطّبقة الثّالثة من دورها الأوّل فقد شاهدنا جميع مرافق الدّار في الطّبقة الثّالثة تعود إلى الطّبقة الثّانية الأموية أعيد استعمالها بعد ترميمات بسيطة وتغيير في تباليطها أو أبوابها، أمّا الوحدة البنائية المذكورة فقد شيدت بعد قطع جميع الجدران العائدة إلى الطّبقة الثّانية الواقعة تحتها إلى مستوى معلوم لم يبق منها سوى الجدار الغربي للساحة «٩١» والبوائك الثّلاث المطلة عليها، ومن السّهل ملاحظة هذا البناء الجديد من طريقة صف مداميك آجره فقد شيدت بشكل غير مألوف وذلك بصف الآجر عمودياً «على كَازه» بصفوف يعلو بعضها بعضاً وقد تعاكس اتجاهها أحكاماً لربطها، أمّا طريقة صف الآجر عمودياً في البناء فنادرة الحدوث في الأدوار الإسلامية وتستعمل في حالات خاصة في الرّيازة كزخرف فقط وهي المعروفة بالرّبط الفلمنكي Flemish Bond أمّا استعمالها في صلب البناء فلم نعثر على ما يماثله في جميع الأدوار البنائية الإسلامية إلا في المحل المعروف اليوم بقصر الخورنق على ضفة بحر النّجف وعلى الأغلب يعود هذا البناء إلى نفس الزّمن الّذي شيدت فيه هذه الوحدة البنائية المذكورة، أمّا في الأدوار القديمة من تاريخ العمارة في العراق فنشاهد هذا النّوع من الرّبط في أزمنة فجر السلالات إلى أوائل العصر الأكدي وفي العصر الكاشي من الأدوار المتأخرة والمعاصرة لكوري كالزو الثّالث «القرن الثّالث عشر قبل الميلاد» وهو ما شيدت به من معابد في عقر قوف ومعبد أنليل في نفر، أمّا الأوّل فيعرف بنموذج عظام فقرات السّمك Herring Bone Design وآجره من النّوع المسطح المحدب، وأمّا الثّاني فقد استعمل من الآجر المشوي أو اللبن المستطيل وهو قريب الشّبه بما وجدناه في دار الإمارة إلا أنّه يتكون من صفوف متعاقبة منها أفقية تتراوح بين الثّلاثة والخمسة صفوف ويليها صفوف أخرى عمودية.

وتتكون الوحدة البنائية المذكورة من ساحة واسعة «١٠٠» مربعة الشّكل تقريباً أبعادها الدّاخلية ٢٥،٣٠ متراً من الشّمال إلى الجنوب و٢٤،٦٠ متراً من الشّرق إلى الغرب، ومن بهو كبير مستطيل الشّكل ويقع جنوب السّاحة أبعاده الدّاخلية ١٨،٤٠× ١٠،٤٠ متراً ويكتنف البهو «٥٥» غرف صغيرة وأواين شيدت بعرض واحد قدره متران.

شيدت الجوانب الثّلاثة للساحة «١٠٠» وهي الجانب الشّمالي والشّرقي والغربي بحنايا ذات دعائم تنتهي بأنصاف أعمدة مزدوجة Double Engaged Coulumn عشرنا على بعضها كاملاً في الجانب الشّمالي والغربي وعلى بعض معالم بنائية تدل على وجودها في الجانب الشّرقي، أمّا الجانب الجنوبي فهو خلو منها ويتصل بالبهو «٥٥» بثلاثة أبواب، ويلاحظ أنّ الوجه الدّاخلي للضلع الشّمالية من السّور قد نحتت منها قشرة بسمك ٤٢سم يبتدئ من محل يبعد «٣» أمتار عن الزّاوية الشّمالية الغربية ويستمر نحو الشّرق حتّى نهاية الضّلع الشّمالية للساحة «١٠٠» انظر الشّكل «١» و«٦».

ومن ثم شيدت أسس السّاحة المذكورة ودعائم حناياها، معدل عرض الحنية الواحدة نحو ١،٩٠ متراً وتبرز

الدّعائم نحو ٧٥سم ومعدل قطر أنصاف الأعمدة نحو ٢٤سم، وقد شيدت فوق أسس تبرز عن وجه الدّعائم نحو ٤٥سم، وتنخفض هذه الأسس عن وجه بطن الحنايا بعشرة سانتيمترات، أمّا أنصاف الأعمدة فتستند إلى قواعد مستطيلة الشّكل أبعادها ١٠،٥× ٢٥ متراً وترتفع عن مستوى بطن الحنايا بمقدار ١٠سم، أمّا دعائم الزّوايا فتتكون من ربعي عمودين يشكلان زاوية قائمة بينهما لتلائم تنقل عقود الحنايا من ضلع إلى أخرى، انظر الشّكل «٦» المخطط الأفقي ومقطعه العمودي.

والغريب في أمر هذه السّاحة أننا لم نعثر على بقايا تبليط لها في الجانب الشّمالي بمستوى تأسيس قواعد أنصاف الأعمدة على نحو ما يشاهد في مثل هذه الأحوال غير أننا وجدنا بقايا تبليط سميك من الجص فوق خشانة من الرّمل والحصى النّاعم على طبقة من السّماد بارتفاع ٤٠سم عن مستوى بطن الحنايا، وبما أنّ هذه السّاحة تعود إلى القاعة الكبيرة «٥٥» وشيدت في زمن واحد معها كان طبيعياً أن نعثر على تبليط يوازي مستوى تبليط تأسيس القاعة الّذي وجدناه يتكون من طبقتين من الحصى ينخفض بمقدار ٤٠سم عن مستوى تبليط الحصى للساحة «١٠٠» والتّبليط الأخير هذا هو بمستوى آخر من تباليط البهو المذكور، وبعض تباليط البهو «٥٥» تخرج إلى الجانب الجنوبي من السّاحة «١٠٠» وتشكل عدة طبقات متراكمة إلا أنّها غير واضحة لذا في وسعنا القول أنّ التباليط الأصلية للساحة «١٠٠» من الأسفل قد رفعت في أحوال بنائية حدثت في فنائها، وهذه العمليات البنائية هي السّرداب الكبير قرب الزّاوية الشّمالية الغربية وعدة جدران أخرى قسم منها يحمل بعض بقايا قواعد لأعمدة من الحجر الرّملي وكسر أخرى لجدران شيدت من الآجر والجص لا يمكن البت في أشكالها الآن.

عثرنا في هذه السّاحة على باب واحد غير أصلي نحت في الجدار الغربي في الحنية الرابعة ابتداءً من الشّمال في زمن متأخر، وبما أنّ الجانب الشّرقي قد نقض بكامله لم يمكننا أن نبت أو ننقض وجود أي باب فيه، أمّا الأبواب الأصلية الّتي وجدت والّتي تؤدي إلى هذه السّاحة فهي الأبواب الثّلاثة الكائنة في الضّلع الجنوبية لها والمفضية إلى البهو الكبير «٥٥».

والبهو الكبير «٥٥» مستطيل الشّكل تتجاوز مساحته الـ ١٨٠ متراً مربعاً ويتصل بالسّاحة «١٠٠» بثلاثة أبواب، الوسطى منها واسع جداً تبلغ فتحته نحو ٣،٢٠ متراً أما فتحة كل من البابين الجانبين فهي نحو ١،٤٠ متراً، ويتصل بالسّاحة «٥٤» بباب واحد يقع في وسط الضّلع الجنوبية وفتحته نحو ٢،٢٥ متراً.

ونلاحظ في تخطيط هذا البهو أنّ جداريه الشّرقي والغربي يمتازان بثخن غير معهود في جميع جدران باقي المرافق فهو يبلغ نحو ٢،٣٠ متراً بينما يبلغ ثخن باقي جدران هذه الوحدة البنائية نحو ١،٥٠ متراً وهذا يدل على أنّ البهو كان يعلوه عقد كبير عال يمتد من الشّمال إلى الجنوب ويستند إلى الضّلعين السّميكين ويتصل البهو بمرافقه الجانبية وهي الغرف «٦٤» و«٦٥» ومنها إلى «٦٣» في الجانب الشّرقي وبالغرفة «٦٨» ومنها إلى «٦٧» وكذلك بالغرفة الصّغيرة «٦١» في الجانب الغربي.

وتتصل الغرفتان «٦١» و«٦٧» بالإيوان الصّغير «٦٦» الّذي تتجه واجهته نحو السّاحة «٦٢» وتبلغ أبعاد هذه السّاحة نحو ١٦،٤٠× ١٢،١٠ متراً وتتصل من الجنوب بالغرفة «٥٦» العائدة إلى الوحدة البنائية الوسطى في المستطيل الغربي من الدّار والّتي حددت أجزاؤها في الموسم السّابق غير أنّ التّنقيب المنظم لم يتم فيها، وقد وصفت في التّقرير الأوّل للموسم الثّاني، وتتصل هذه السّاحة خلال باب في ضلعها الشّمالية بالقسم الشّمالي المتكون من مستطيل يقع غربي السّاحة «١٠٠» إلا أنّ التّخريبات الكثيرة البالغة حتّى الطّبقات السّفلى قد أدت إلى تشويه معالم هذا القسم المعمارية، ووجدنا بعض بقايا أحواض من الجص وكسر جدران لم نتمكن من تفسير الغرض من تشييدها.

ويشاهد من المخطط الشّكل «١» بقايا بناية مربعة جدرانها مستحدثة في الطّبقة الثّانية تشكل مجازاً «٧٧» للباب المقطوع في الضّلع الغربية للسور الدّاخلي.

أمّا الإيوان الصّغير «٦٠» فهو معزول عن هذه الوحدة البنائية إذ لم نجد دلائل تشير إلى وجود أبواب تتصل من الغرفتين الجانبيتين على نحو ما في الإيوان رقم «٦٦».

ويلاحظ من المخطط العام الشّكل «١» أنّ الضّلع الغربية للمرافق الصّغيرة الواقعة بين البهو والسّاحة «٦٢» والجدارين الشّمالي والجنوبي للساحة «٦٢» لاتزال تحافظ على بقاياها البنائية من الطّبقة الثّانية الّتي هدم جانبها الشّرقي عند تشييد هذه الوحدة البنائية الجديدة، وقد خططت الأقسام الجديدة بخطوط متقاطعة بينما تشير الأقسام السّود إلى الطّبقة الثّانية الّتي أعيد استعمالها في الطّبقة الثّالثة في دورها الأوّل.

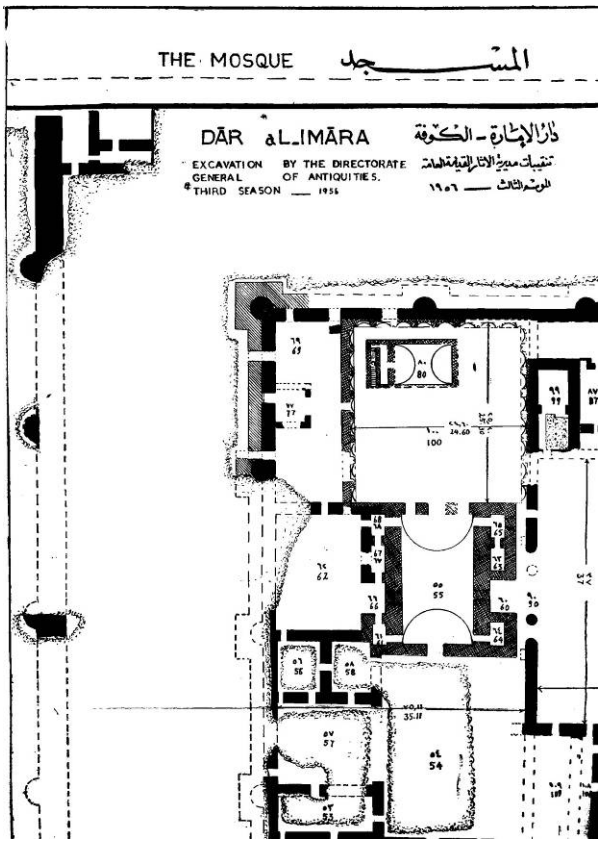
THE MOSQUE
المسجد
DĀR aL-IMĀRA
دار الإمارة - الكوفة
EXCAVATION BY THE DIRECTORATE GENERAL OF ANTIQUITIES.
THIRD SEASON — 1956
تنقيبات مديرية الآثار العامة
الموسم الثالث — ١٩٥٦

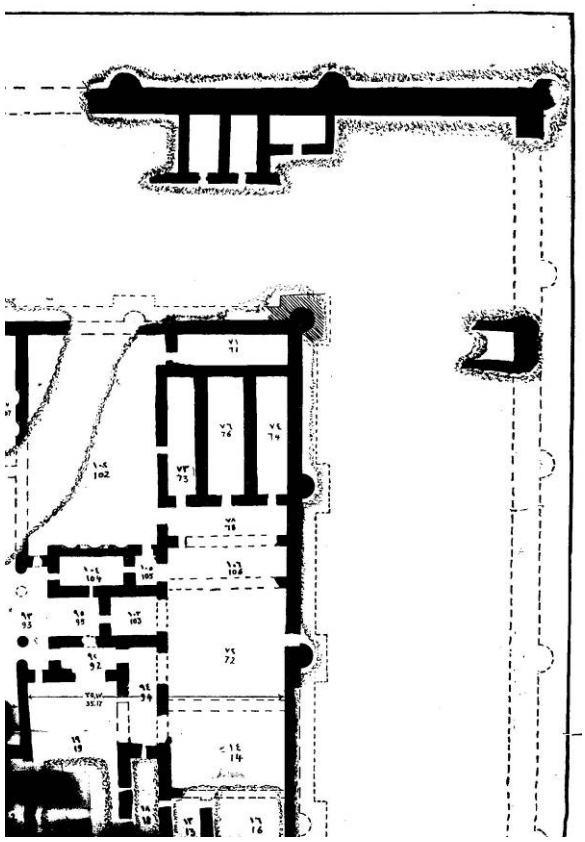

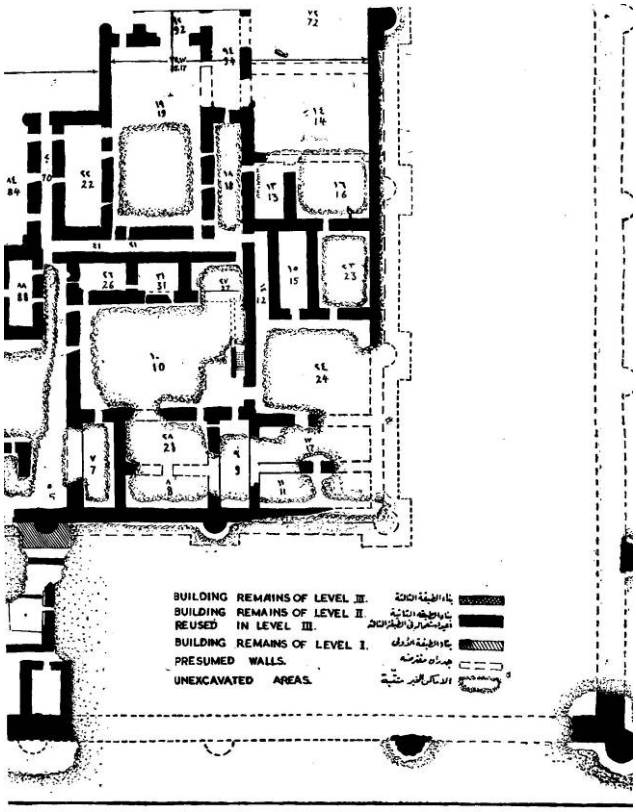
BUILDING REMAINS OF LEVEL III.
BUILDING REMAINS OF LEVEL II.
REUSED IN LEVEL III.
BUILDING REMAINS OF LEVEL I.
PRESUMED WALLS.
UNEXCAVATED AREAS.

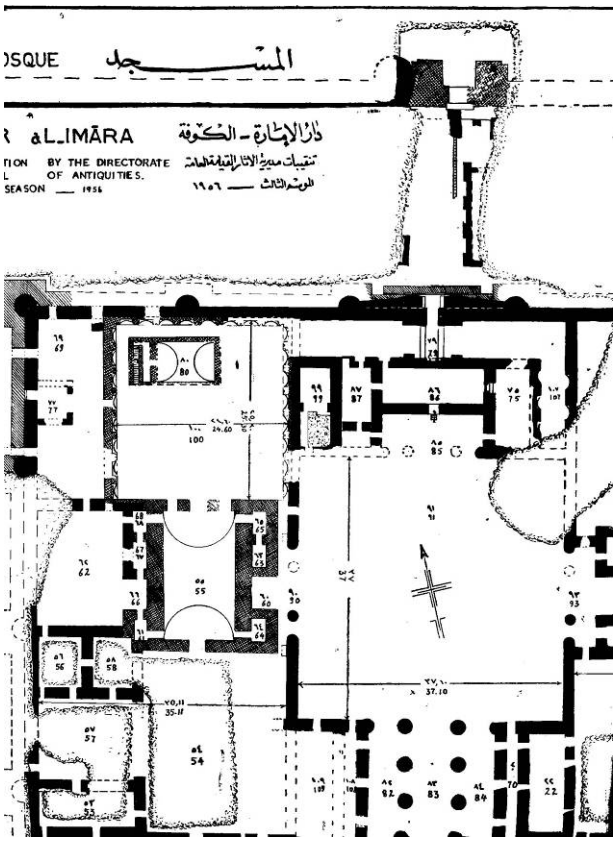
المسجد
aL-IMĀRA
دار الإمارة - الكوفة
BY THE DIRECTORATE
OF ANTIQUITIES.
SEASON — 1956
تنقيبات مديرية الآثار العامة
الموسم الثالث — ١٩٥٦

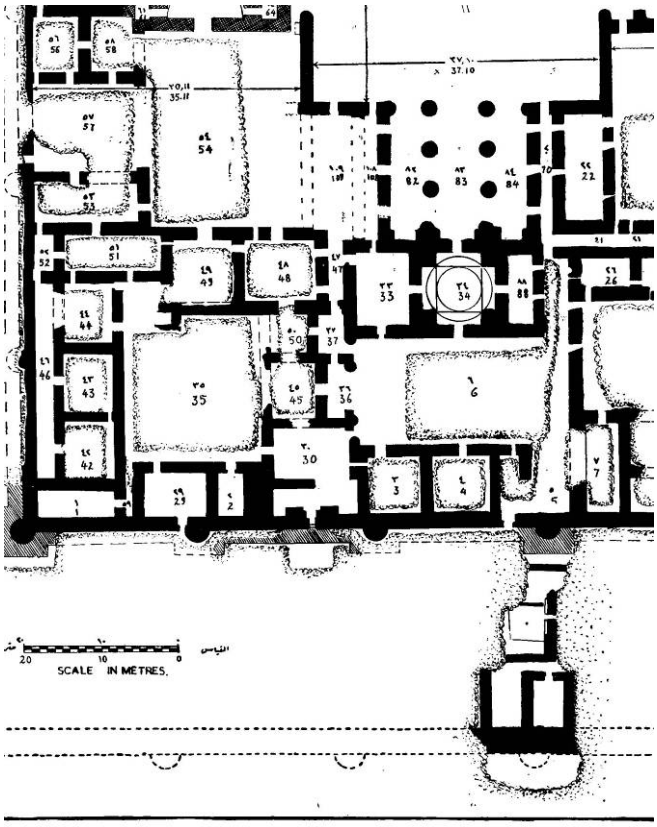

الشكل : ١

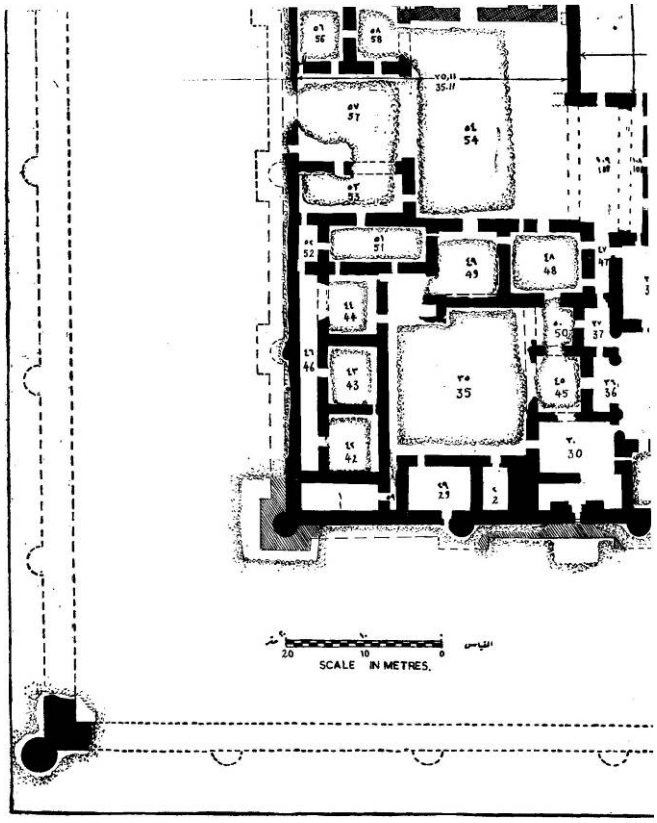

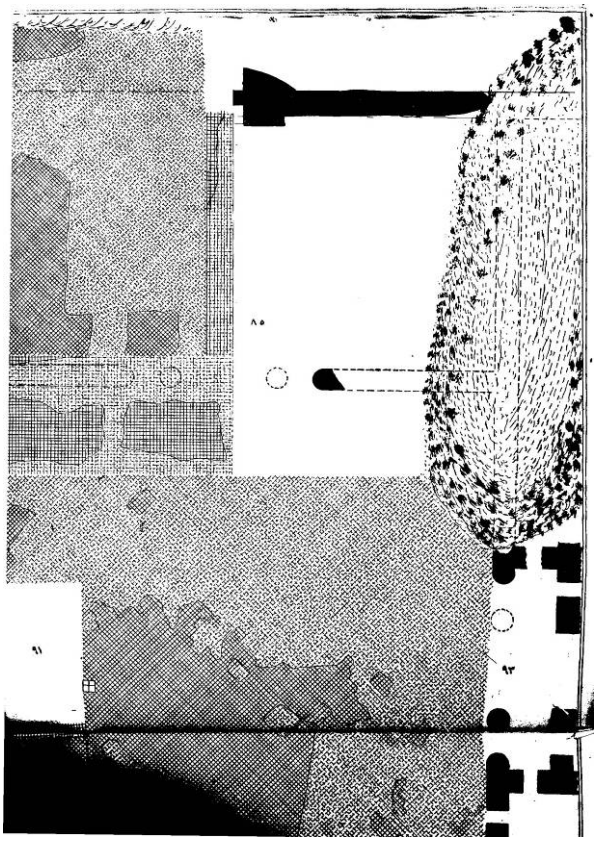

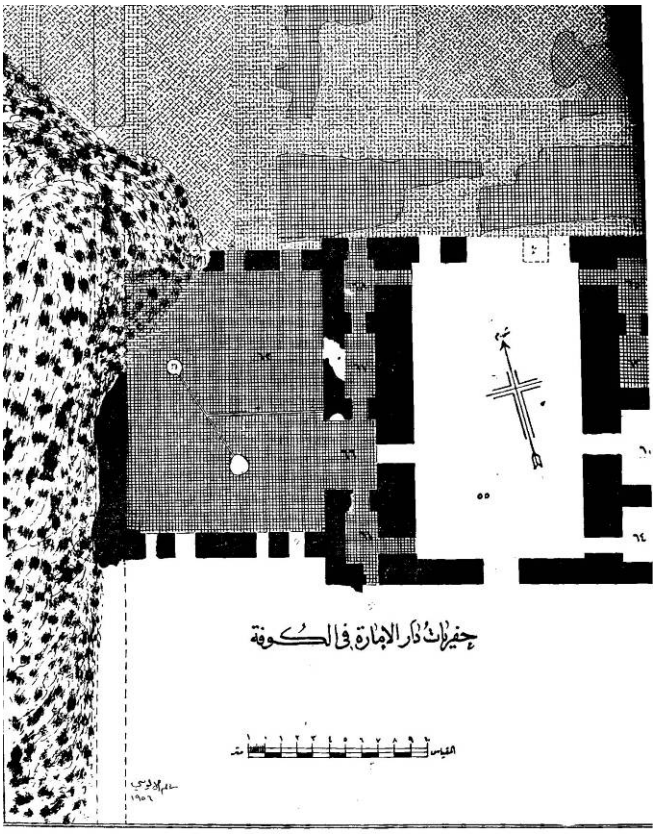

دورها الثاني

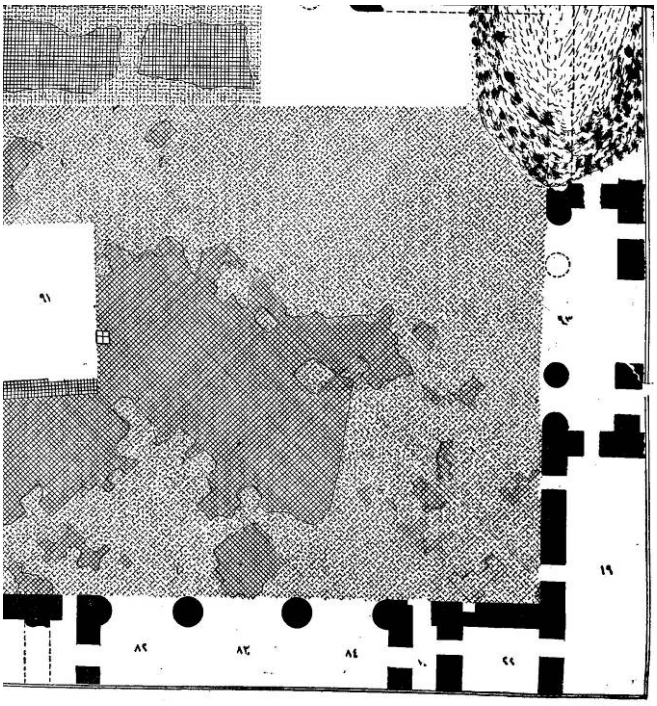

تبليط الساحة

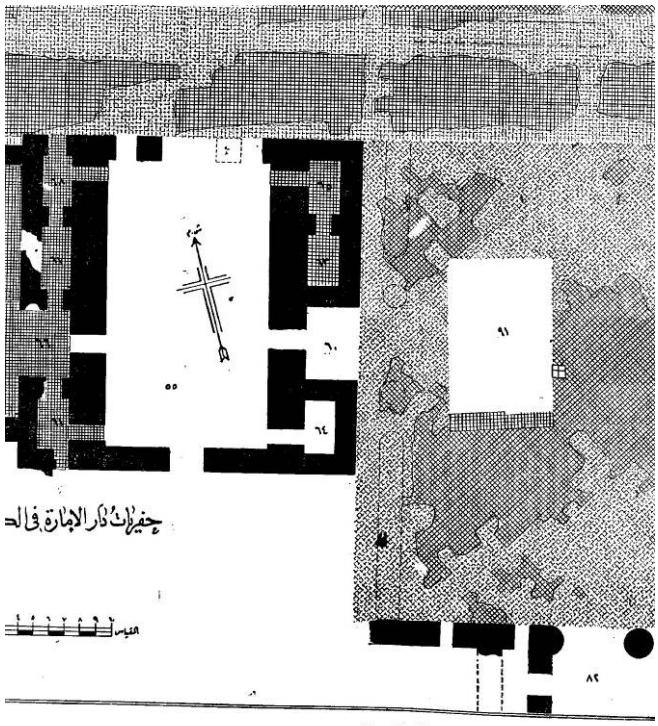

الشكل : ٣
تبليط الساحة الكبيرة للطبقة الثالثة في دورها الثاني

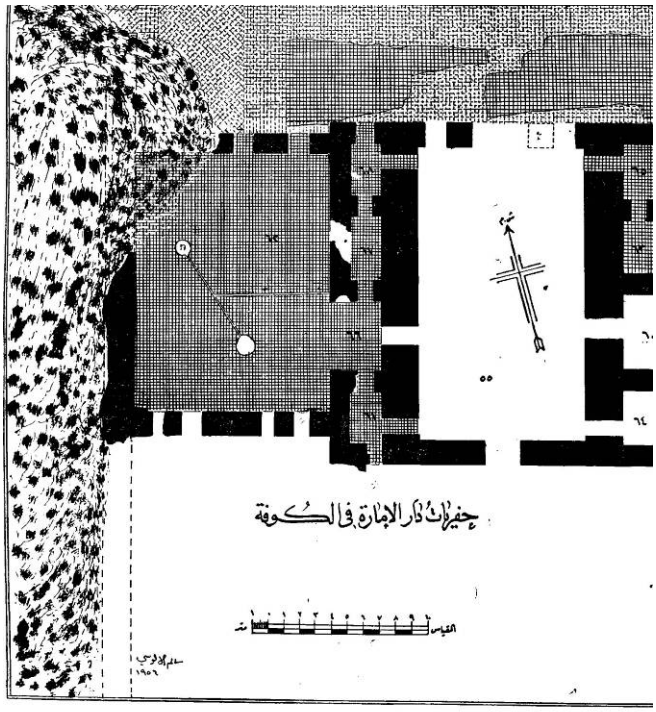

دورها الثاني

الشكل : ١

السّرداب: على بعد ٢،٠٥ متراً من الوجه الدّاخلي من الضّلع الغربية للساحة «١٠٠» عثرنا على قبو ضيق ينزل إليه بسلّم طويل انظر الشّكل «٦» وبعد التّحريات الأولية تبين لنا أنّه مدخل سرداب شيد في موازاة الضّلع الشّمالية للسور وعلى بعد ٢،٥٣ متراً منها، ويتكون هذا من مستطيل طوله من الدّاخل ما عدا الدّرج نحو عشرة أمتار وعرضه نحو ٥،٨٢ متراً وقد قسم الجانب الغربي منه إلى قبوين الأوّل ينزل إليه بدرجات وهو المدخل والثّاني قبو عرضه نحو ٩٥سم ويمثل المجاز إلى السّرداب، ينقسم المدخل إلى قسمين القسم الجنوبي ويحتوي على الفتحة الّتي ينزل منها إلى السّرداب وتتكون من مستطيل طوله ٣،٦٠ متراً وعرضه نحو ٨٥سم وثخن جدرانه نحو ٤٥سم ويحتوي على عدد من الدّرجات عرض كلّ منها نحو ٢٥سم ومعدل ارتفاعها نحو ١٨سم.

ويتكون القسم الجنوبي من قبو ضيق عرضه نحو ٧٠سم مسقف بعقد دائري الشّكل طوله نحو ٢،٩٥ متراً وفي ضلعه الشّرقية قرب الزّاوية الشّمالية الشّرقية باب يفضي إلى القبو الصّغير «المجاز»، وقد كسيت جدران الدّرج والقبو الثّاني من الدّاخل بعدة طبقات من اللطوش تتكون ابتداءً من الأسفل من طبقة خشنة من الجص غير مصقولة تليها طبقة من الرّماد مخلوطة بمواد نباتية وعضوية ثمّ تليها طبقتان من الجص ثخنها نحو ١سم أي أنّ هاتين الطّبقتين تشكلان كساء واحداً، ويلي هذه الطّبقة طلاء آخر من السّماد المخلوط بالمواد النّباتية ثخنه نحو ١،٢سم غلف بطبقة من الجص ثخنها نحو ١سم وتشكل الوجه المصقول للدرج والسّرداب.

أمّا عقد القبو الثّاني «المجاز» فيتكون من قطاع دائرة ارتفاعه نحو ١،٥٠ متراً ونصف قطره عند رجلي العقد نحو ٢،٥٠ متراً وبهذا يشكل عقداً واطئاً أي قطاع دائرة أصغر من نصف دائرة.

وشيد العقد من الآجر والجص بوضع الآجر على حافته بصفوف متفاوتة الحلول.

ولم نجر البحث الكامل داخل السّرداب ولهذا ليست لدينا معلومات وافية عن كيفية عقده وقد أجل العمل فيه إلى موسم آخر.

ويلاحظ أنّ مستوى تبليط مدخل الدّرج يعلو عشرة سانتيمترات عن مستوى التّبليط الأخير للساحة «١٠٠» وبهذا يدل على أنّ زمن تشييد هذا السّرداب كان متأخراً بالنّسبة إلى زمن تشييد الوحدة البنائية الجديدة المار ذكرها أمّا باقي مرافق المستطيل الغربي من الدّار فتتكون من دار كبيرة تقع في جنوب المستطيل وتحف بساحة كبيرة رقم «٣٥» وتطل مرافقها الشّمالية على ساحة أخرى هي «٥٤» وقد وصفت هذه الأجزاء في التّقرير الأوليّ للموسم الثّاني، غير أنّ التّنقيب الكامل لم يجر فيها، ويستند وضع مخططها الحالي إلى الأجزاء المكتشفة منها في الموسم الثّاني فقط

الطّبقة الثّالثة في دورها الثّاني:

تتألف الطّبقة الثّالثة في دورها الثّاني من مرافق الطّبقة الثّالثة الأولى ذاتها بعد إجراء تغيير كبير في كثير من الوحدات البنائية في المستطيلات الثّلاثة الكائنة داخل السّور الدّاخلي، وقد استمر استعمال السّور الخارجي وأواوينه والغرف المشيدة لصقه وهي الّتي وصفناها في الدّور الأوّل للطبقة الثّالثة بعد تعلية تباليطها وتجديد لطوشها، وشيد في هذا الدّور باب جديد في الضّلع الشّمالية من السّور، ويلاحظ أنّ هذا الباب قد استحدث بعد نقض باب أقدم منه ويقع قبالة الباب الوسطي من السّور الدّاخلي لأنّ محور هذا الباب المحدث ينحرف كثيراً عن محور الباب الدّاخلي الّذي يقابل الباب الكبير للبهو وباب القاعة المضلعة «٣٤».

ونعزو هذا الانحراف إلى أنّ الباب الرّئيسي للضلع الشّمالية للسور الدّاخلي لم يكن موجوداً حينما استحدث الباب الشّمالي في السّور الخارجي، وقد حافظ السّور الخارجي أيضاً على أبراجه كاملة ويشاهد وجود ترميم واسع في ظاهره واتخذ في هذا التّرميم الآجر ذو الحجوم الصّغيرة كما اتخذ الجص لربط مداميكه.

أمّا السّور الدّاخلي فأغلب الظّن أنّه قد تشعث في هذا الدّور ولم تر سكنة الدّار لزوماً لبقائه ولهذا فقد رفع ثلثا ضلعه الشّمالية عند نقطة تقاطع الضّلع الشّرقية للمستطيل الوسطى بالضّلع الشّمالية للسور الدّاخلي من الشّرق إلى البرج الشّمالي الغربي من الغرب ومن البرج الشّمالي الغربي إلى قرب الزّاوية الشّمالية الغربية للساحة «٦٢» افتراضاً فإنّنا لم نتأكد من حدود القص في الضّلع الغربية من السّور إذ مازال قسمها الوسطي والجنوبي تحت النّقض.

ومن هنا نستدل على أنّ السّور الدّاخلي في الطّبقة الثّالثة في دورها الثّاني لم يكن ذا أهمية وقد طرأت فكرة جديدة على تغيير مخطط دار الإمارة في وسعنا الإبانة عنها بما يأتي:

١- رفع جميع الوحدة البنائية للمدخل الرّئيسي في شمال المستطيل وبضمنها ثلثا السّور والباب الرّئيسي.

٢- رفع السّاحة «١٠٠» والأبنية الواقعة في غربها وكذلك القسم الشّمالي من الضّلع الغربية للسور الدّاخلي.

٣- رفع أقسام كبيرة من وسط المستطيل الشّرقي وجعلها ساحة واسعة تتصل بالسّاحة «٩١».

٤- رفع الضّلع الغربية للساحة «٩١» بتمامها وإضافة الممر «٩٠» إلى السّاحة «٩١».

٥- رفع القسم الغربي من مرافق البهو ذي الأروقة، المتكون من الممر «١٠٨» والغرفة «١٠٩» وإضافته إلى السّاحة «٥٤».

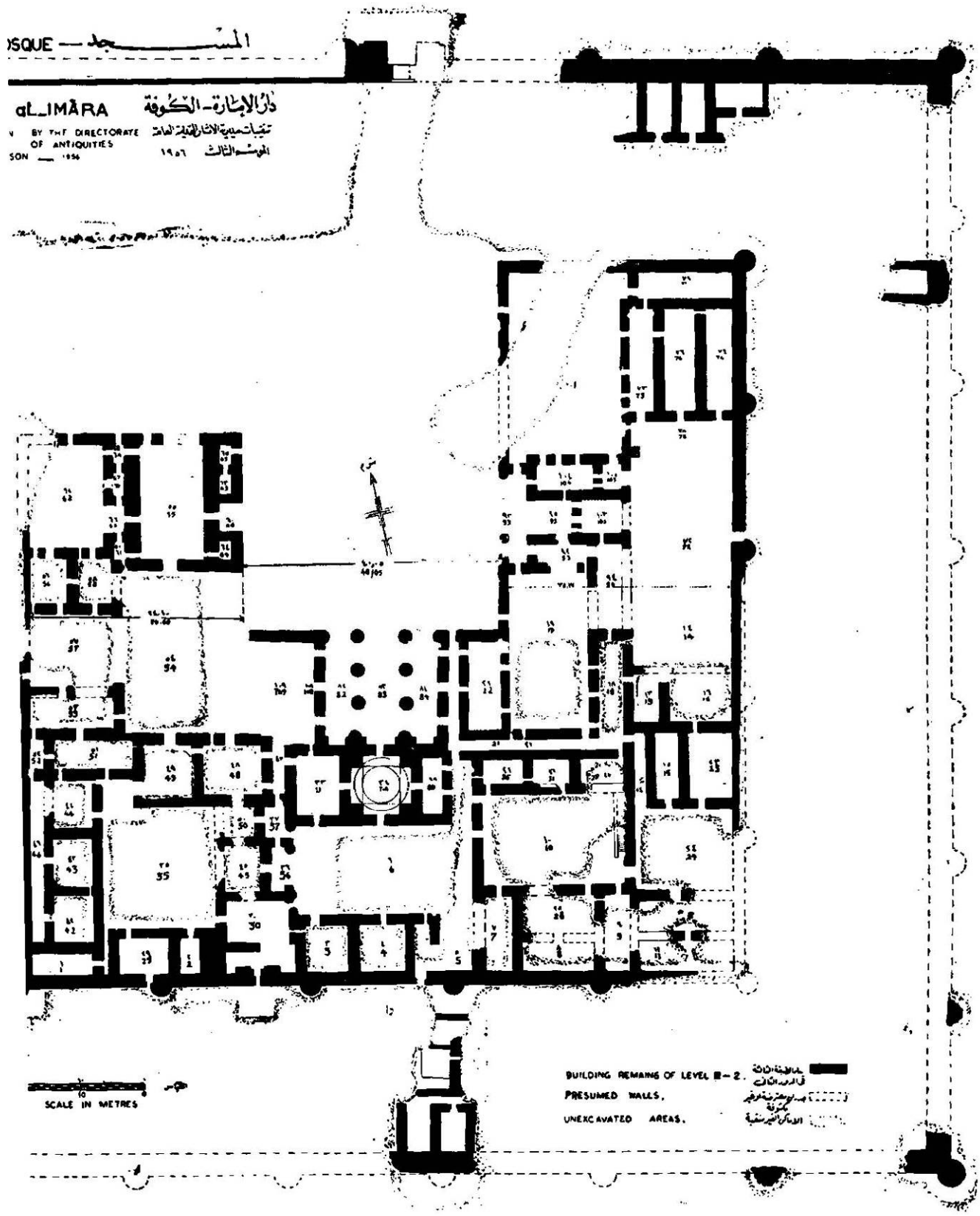

الشكل ٢ - الطبقة الثالثة في دورها الثاني

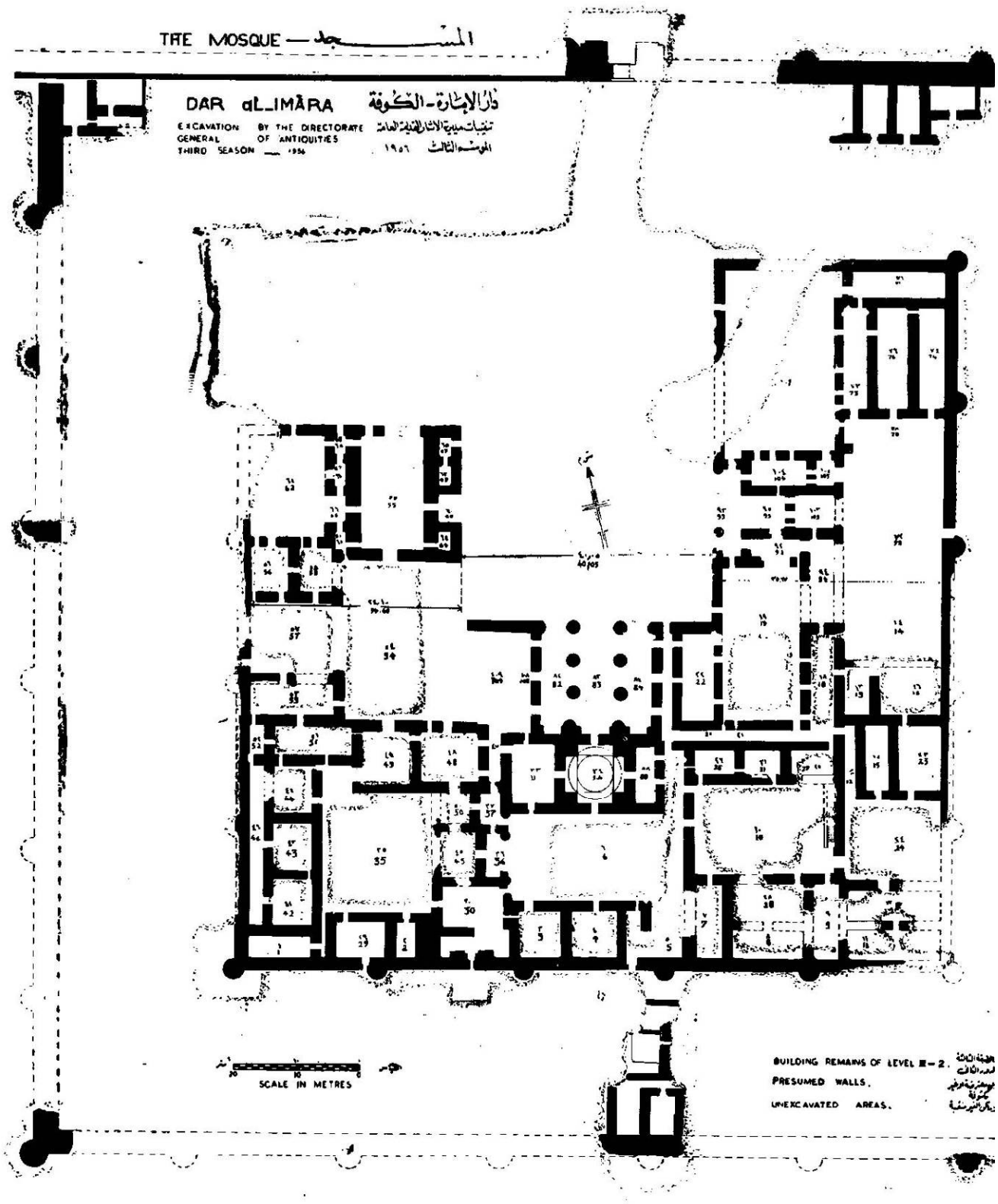

الشكل ٢ - الطبقة الثالثة في دورها الثاني

٦- فتح أبواب كثيرة تنحت في صلب جدران الغرف وكذلك غلق بعض الأبواب الأصلية.

وكانت نتيجة هذه التّغييرات أن أصبحت الدّار مكشوفة من قسمها الشّمالي، واستحدثت ساحة واسعة على شكل حرف L الإفرنجي تشترك مع مرافق السّور الخارجي حيث نرى بقايا تباليطها تتجه شمالاً وغرباً، وأصبح عرض قسمها الجنوبي ٤٠ متراً أمّا قسمها الشّمالي فمازال بعضه تحت النّقض ولهذا لم نتمكن من تحديد أبعاده، انظر الشّكل «٢» و«٣».

بلطت هذه السّاحة الجديدة بالآجر فوق ردم الجدران المنقوضة على ارتفاع يتراوح بين ٤٠ و٦٠سم عن مستوى تبليط الجص للدور الأوّل، غير أنّنا نلاحظ في حالته الحاضرة وجود اختلافات كثيرة في مستوياته، وتعزى هذه الاختلافات إلى الانخسافات الّتي حدثت من جراء الضّغط الحاصل من تراكم النّقض الهائل فوقه، حيث بقي التّبليط الواقع فوق الجدران وأجزاء السّور المنقوضة محافظاً على مستوياته الأصلية بينما انخسفت الأقسام الّتي تقع فوق ساحات الغرف وفي وسط السّاحة «٩١»، لعدم وجود ما يسندها من الأسفل سوى الرّدم القابل للانكماش.

ويلاحظ كذلك من مخطط التّبليط الشّكل «٣» أنّ أجزاء كبيرة منه قد رقعت بالحفائر والبلاليع والخنادق الّتي شقها سكان الطّبقات المتأخرة ولاسيّما الألخانية منها، وفي أعمال النّقض الّتي أجراها سراق الآجر «النّقابة» في الأزمنة الحديثة.

يتكون تبليط هذا الدّور من عدة طبقات الواحدة فوق الأخرى: التّبليط الفوقاني من طبقتين من الآجر المربع الصّغير، حجم الآجر للتبليط الأسفل ٢٢× ٢٢× ٤سم وحجم آجر التّبليط العلوي ٢٠× ٢٠× ٤سم، ويلاحظ أنّ التّبليط العلوي قد وضع مباشرة فوق الأسفل بعد أن بدأ التّلف يدب في معظم آجر التّبليط الأسفل، ولهذا يعد التّبليط العلوي بمثابة ترميم للأسفل وبينهما طبقة رقيقة من الجص، وفي بعض المحلات وضعت طبقة ثخينة من الجص والحصى النّاعم والخشانة وذلك في الأماكن الّتي تخلو من آجر التّبليط الأسفل.

ويلي التّبليط الأسفل طبقة من كسر الآجر وخشانة الجص ثخنها نحو ٩سم وضعت فوق طبقة من التّراب والرّمل الأحمر ثخنها نحو ٧سم.

وتحت هذه الطّبقة الأخيرة طبقة تبليط من الجص يتراوح ثخنها بين ٣ و٥سم.

أمّا طريقة رصف آجر تبليط السّاحة في طبقتيه السّفلى والعليا فكانت على شكل زخرف حيث قسم إلى أقسام متنوعة الرّصف، ويرى من المخطط الشّكل «٣» إطار ثخين من الآجر رصفت صفوفه رصفاً عريضاً على شكل خطوط متوازية تحيط بمستطيل أو مربع يكوّن القسم الأكبر من تبليط الفناء الشّمالي المستحدث في هذا الدّور.

وتبتدئ زاوية هذا الإطار الجنوبية الغربية من محل يقع شمال الغرفة «٦٨» وبهذا تصبح ضلعه الغربية متجهة نحو الشّمال إلى السّور الخارجي وضلعه الجنوبية تذهب نحو الشّرق ويفصل القاعة «٥٥» والقسم الجنوبي من السّاحة عن القسم الشّمالي للساحة الكبيرة، وهنالك بقايا ثلاثة صفوف من ضلعه الشّرقية تمر فوق الباب الوسطي المرفوع وفوق القاعة «٨٦» وكذلك توجد بقاياه فوق عتبة الباب للمجاز «٨٥» وتنعدم آثاره قرب المحل الواقع بين العمودين للطارمة «٨٥» حيث رفعت بالخندق الكبير المار ذكره والّذي أزال اتصال الضّلع الشّرقية بالضّلع الغربية للإطار.

لا يمكننا تحديد عرض أو ثخن هذا الإطار حيث لم نعثر على حافتين فيه متقابلتين كاملتين، غير أنّه بالإمكان تحديد ثخنه على وجه التّقريب وذلك بين الوجه الخارجي للقاعة «٥٥» وبين بقايا أربعة صفوف من آجر الوجه الدّاخلي للضلع الجنوبية للإطار، وعلى هذا يصبح عرض هذا الإطار بين ٨،٥ و٩ أمتار.

بلطت السّاحة المربعة الشّكل أو المستطيلة، الواقعة داخل هذا الإطار بصفوف من الآجر المرصوف قطرياً: وتم هذا النّوع من الرّصف بعد وضع مثلثات من الآجر في حواشي الإطار المذكور من الدّاخل ومن ثم رصف الآجر الكامل بين أضلاع هذه المثلثات حتّى تم التّبليط الواضح شكله في المخطط «٣» ويسمى هذا النّوع من التّبليط عند العامة بالتّبليط «الشيطاني».

أمّا بقايا السّاحة الواقعة في غرب هذا الإطار فقد قسمت إلى مستطيلات ذات إطارات شيدت من خمسة صفوف من الآجر المرصوف عرضياً داخلها آجر صف بالرّصف القطري، وتشكل المستطيلات صفوفاً متوازية من الشّمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشّرق، وقد عثرنا على بقايا ثلاثة منها مكنتنا من الدّلالة على شكلها، انظر المخطط «٣» والصّورة الشّكل «٧» وهذه المستطيلات تشبه كثيراً مستطيلات تبليط أروقة جامع الحجاج[1] في دوره الأخير حيث نرى أنّ بلاطات أروقة الجوانب قد حددت تباليطها بإطارات ذات أربعة صفوف من الآجر المرصوف عرضياً وبداخلها الآجر المرصوف رصفاً قطرياً.

(١) فؤاد سفر: واسط، الموسم السّادس للتنقيب، الشّكل ١١ مخطط جامع الحجاج.

وتشكل هذه الإطارات الخلايا المستطيلة الشّكل والمتوازية.

أمّا جنوبي السّاحة الكبيرة الّذي يتكون من السّاحة «٩١» في الدّور الأول والممر رقم «٩٠» والجدار الغربي وعرضه نحو ٤٠ متراً فقد بلط جميعه بالآجر المرصوف قطرياً في طبقتيه العليا والسّفلى، ويحده من الشّمال الضّلع الجنوبية للإطار الكبير المار ذكره ومن الجنوب الضّلع الجنوبية للساحة «٩١» ويبلغ طول هذه المسافة نحو ٣٠ متراً، وقد لاحظنا بقايا مستطيل صغير أمام الإيوان «٦٠» وعلى بعد ٥،٥ متراً عنه، شبيه بالمستطيلات الّتي في شمال غربي السّاحة العامة.

وحدت الضّلع الجنوبية لإطاره المتكونة من خمسة صفوف من الآجر المرصوف عرضياً، أمّا ضلعه الشّرقية فحدت بإنصاف الآجر المثلث الشّكل غير أنّ ضلعيه الشّمالية والشّرقية ممدودتان كلياً، إلا أنّه يمكن تحديد أبعاد المستطيل من بقايا طبقة الجص الّتي كانت تحته والّتي تشكل مستطيلاً أبعاده نحو ١٠× ٦،٥ متراً.

ويتصل هذا القسم من السّاحة من جانبه الجنوبي الغربي بالسّاحة «٥٤» الّتي تقع جنوب القاعة الكبيرة «٥٥»، ولم نعثر هنا على بقايا تبليط الآجر حتّى نتمكن بواسطته من معرفة نوع الاتصال الموجود بينهما.

أمّا التّغييرات الّتي طرأت على الدّور والمرافق البنائية في المستطيل الشّرقي فكانت على نوعين:

الأول: ويتكون من فتح وغلق أبواب في مختلف الغرف وتنحصر هذه في الوحدة البنائية الشّمالية والوسطية، فقد فتحت ثلاثة أبواب في الضّلع الغربية من الغرفة «٧٣» ووصلت هذه الغرفة بالغرفتين «٧٦» و«٧١» ببابين نحتا في الضّلع الشّمالية والغربية، وكذلك نحت ثلاثة تجاويف عمق كلّ منها نحو ٤٥سم وعرضه ٩٠سم.

وتشكل هذه التّجاويف خزائن جدارية ذات عتبات ارتفاعاتها نحو ١٠سم، وجد داخلها كثير من أواني الزّجاج المكسر وبعض آنية الخزف المزجج وصورة صغيرة لبهيمة من مادة الزّجاج، انظر الشّكل «٥» والصّورة الشّكل «١٠».

وكذلك اتصلت الغرفة «٧٦» بالغرفة «٧٤» بباب ضيق فتح قرب الزّاوية الشّمالية الشّرقية.

وكذلك جرى تغيير كبير على واجهة الضّلع الجنوبية للساحة «١٠٢» حيث هدمت الحنايا الثّلاث وعقودها وفتح عوضاً عنها ثلاثة أبواب تؤدي من هذه السّاحة إلى الجناح الأيمن للبناية الوسطية المشيدة على الطّراز الحيري، وكذلك فتح باب ثان في شرق هذا الجناح يؤدي إلى الغرفة الصّغيرة «١٠٥» عرض فتحته ٩٢سم.

وفي الإيوان «٩٥» فتح بابان جديدان على جانبي الباب الأصلي في ضلعه الشّرقية، انظر المخططين الشّكل «٢» و«٥».

أمّا النّوع الثّاني من التّغيير الّذي جرى في بنايات هذا المستطيل فكانت محصورة على نقض وإزالة الغرفتين بين «٧٨» و«١٠٦» والسّاحتين «٧٢» و«١٤» وجعل مساحات هذه الأجزاء المنقوضة ساحة واحدة مستطيلة الشّكل فتح لها باب كبير في الضّلع الشّرقية من السّور الدّاخلي عرضه نحو ٢،٠٥ متراً، وكذلك اتصلت السّاحة «١٩» بالسّاحة الرّئيسية «٩١» خلال باب مستحدث فتح في الضّلع الغربية للساحة المذكورة.

أمّا التّغييرات الّتي جرت على المنشآت الواقعة في المستطيل الغربي من الدّار فكانت على نوعين:

الأول: كان مقتصراً على نقض السّاحة «١٠٠» وما يجاورها من الغرب كما ذكرنا سابقاً وإضافة هذا القسم إلى السّاحة الكبيرة المستحدثة في هذا الدّور.

أمّا النّوع الثّاني فكان يتألف من الأمور التّالية:

١- رفع الجدار الشّرقي للمستطيل الّذي كان يضم الممر «٩٠» والبوائك الثّلاث المطلة على السّاحة «٩١».

٢- غلق الباب الكائن بين القاعة «٥٥» والغرفة «٦٥» وفتح باب آخر عوضاً عنه في الجدار الشّرقي للغرفة حيث أصبح يتصل بالسّاحة مباشرة.

٣- فتح بابين حديدين في جانبي القاعة «٥٥» جعلاها تتصل بالإيوانين «٦٠» و«٦٦» مباشرة.

٤- فتح باب جديد في الضّلع الشّمالية من الغرفة «٦٨» وباب آخر يناظره في الضّلع الجنوبية للغرفة «٦١».

٥- فتح ثلاثة أبواب جديدة في الضّلع الجنوبية للساحة «٦٢» اثنين يؤديان إلى الغرفة «٥٨» والثّالث إلى الغرفة «٥٦» هذا إلى الباب الأصلي الواقع قرب الزّاوية الجنوبية الغربية انظر الشّكل «٢».

أمّا في الأقسام الأخرى ولاسيّما البنايات الواقعة في جنوب المستطيلات الثّلاثة من الدّار فلا يمكن معرفة التّغييرات البنائية الّتي جرت عليها في هذا الدّور، حيث لاتزال معظم أقسامها تحت النّقض والتّحريات الأولية الّتي جرت في الموسم الثّاني لم تكن كاملة بل اقتصرت على معرفة نوع الأبنية وتحديد مخططاتها على وجه التّقريب، ولهذا فإنّ شكلها الحاضر المبين في الخارطة يشير إلى وضعها الأخير في الطّبقة الثّالثة في دورها الثّاني، والتّغيير الوحيد الّذي يمكن أن نبينه في الأقسام الجنوبية من الدّار هو الّذي جرى في القسم الواقع غربي البهو ذي الأروقة والّذي كان يضم الغرفة «١٠٩» ومجازها «١٠٨» حيث رفعا وأضيفا إلى الساحة «٥٤» كما ذكرنا سابقاً.

عدة البناء في الطّبقة الثّالثة:

عدة بناء الطّبقة الثّالثة في دوريها الأوّل والثّاني كان الآجر الكبير ومادة الجص وأحياناً النورة والسّماد في المحلات الواقعة قرب المياه وفي الأسس، وكان الآجر المستعمل في البناء متنوع الحجوم والألوان: استعمل الآجر ذو الحجم ٣٦× ٣٦× ٨سم في تشييد وجه السّور الخارجي من الدّاخل بينما شيدت الأواوين الملصقة عليه بآجر ذي حجم ٣٦× ٣٦× ٩سم أمّا في بناء السّور الدّاخلي وأبراجه فكان الآجر ذو الحجم ٣٦،٥× ٣٦،٥× ١٠سم مستعملاً في تغليف الأبراج في دوره الثّاني من الطّبقة الثّالثة والآجر ذو الحجم ٣٧× ٣٧× ١٠سم في معظم الأجزاء الأخرى للسور.

أمّا الآجر المستعمل في تشييد الدّور الدّاخلية ومرافقها فكان على أنواع وحجوم مختلفة منها بحجم ٣٦× ٣٦× ١٠سم والآخر بحجم ٣٧× ٣٧× ١٠سم والثّالث بحجم ٣٨× ٣٨× ١٠سم، وقد عثرنا في تربيع الأقسام الوسطية للجدران على آجر ذي حجم ٤٠× ٤٠× ١٠سم، وإلى هذه الحجوم الكبيرة وجد في بعض الأقسام آجر ذو حجوم صغيرة منها بحجم ٢٥× ٢٥× ٦سم و٢٨× ٢٨× ٧سم، بينما شيدت الوحدة البنائية الجديدة المتكونة من السّاحة «١٠٠» والقاعة «٥٥» ومرافقها بحجم جديد لم يعثر على شكله في باقي مرافق الدّار وكان حجمه نحو ٣٣× ٣٣× ٧سم، وهو ذو لون أصفر مائل إلى الخضرة، وقد صف عمودياً وكانت الحلول بين آجرة وأخرى تتراوح بين ١،٥سم وثلاثة سانتيمترات بينما تقل المسافة بين مداميكها فتصبح أحياناً نحو نصف سانتيمتر، وعثرنا على نوع من الآجر المستطيل استعمل في ترميم أوجه الأبراج من الخارج وعلى الأخص في أوجه السّور الدّاخلي في دوره الأخير وأقيسته ٣٠× ١٨× ٧،٥سم.

أمّا ملاط أو لطوش الجدران فكانت كلّها من الجص الأبيض في الطّبقات المتأخرة، ومن الجص المائل إلى الحمرة في الطّبقات السّفلى، ومازال معظم الجدران محافظاً على عدد كبير من طبقات اللطوش تختلف في ثخنها، وتعود الطّبقات التّحتانية من الكساء إلى الطّبقة الثّانية في دورها الثّاني حيث كما قلنا سابقاً أنّ جدران الطّبقة الثّانية في دوريها الأوّل والثّاني أعيد استعمالها كاملاً في أزمنة الطّبقة الثّالثة، ويتراوح ثخن الملاط الموجود على بقايا جدران الطّبقة الثّالثة بين الثّلاثة سانتيمترات والسّتة سانتيمترات، ويمكن تعداد طبقات كثيرة في أوجه بعض الجدران والأعمدة، وقد وجدنا نحو خمس طبقات من هذه اللطوش في أعمدة أروقة البهو «٨٣» وكذلك في أوجه أنصاف الأعمدة الّتي على جانبي مدخل القاعة المضلعة «٣٤»، وهناك بقايا ست طبقات من ملاط الجص في أوجه الطّارمة «٨٥» بعضها رقيق جداً لا يتجاوز ثخنه ربع سانتيمتر وبعضها ثخين يزيد عن السّنتيمتر، أمّا لطوش القاعة «٥٥» فكان عدد طبقاتها نحو الخمس تتباين في الثّخن، حتّى ليبلغ بعضها نحو ١،٥سم، وتلاحظ أحياناً طبقات رقيقة جداً تقوم مقام البياض أو اللعاب فوق ملاط الجص وذلك لصقله أو لتجديد بياضه.

التّبليط: استعمل الآجر في تبليط معظم السّاحات والغرف في الطّبقة الثّالثة في دورها الثّاني، ويمكن ملاحظة خمسة حجوم مختلفة عثر عليها في معظم مرافق الدّار وساحاتها وأقيستها كما يأتي:

١- ١٩× ١٩× ٤سم.

٢- ٢٠× ٢٠× ٣،٥سم.

٣- ٢١× ٢١× ٤،٥سم.

٤- ٢٢× ٢٢× ٤سم.

٥- ٢١،٥× ٢١،٥× ٤سم.

وقد بلطت جميع السّاحة الكبيرة المستحدثة في الدّور الثّاني بالآجر ويمكن مشاهدة طبقتين منه في فنائها ويلاحظ وجود طبقة رقيقة من الجص بين الطّبقتين من الآجر، وكان التّبليط الأخير فوق بقايا عدة طبقات من الجص والرّمل والتّراب رصفت منها تمهيداً لرصف الآجر الأخير ومنها بقايا تباليط مرفوعة وعلى الأخص الجص منها، وكان تبليط الآجر على نوعين: الأوّل المرصوف رصفاً قطرياً وهو المستعمل في السّاحات فقط ويمكن ملاحظته في السّاحة «٩١» و«١٩» و«٦» والثّاني المرصوف عرضياً وهو التّبليط العادي وكان مستعملاً في معظم ساحات الغرف وكذلك في السّاحة «٦٢»، انظر الشّكل «٨».

أمّا تبليط الطّبقة الثّالثة في الدّور الأوّل فكان على الغالب من الجص المسيع فوق أرضية الغرف ممزوجاً بالحصى النّاعم وخشانة الجص، أمّا السّاحات الكبيرة فكانت مبلطة على الأكثر بالآجر الكبير وكذلك في بعض الغرف وأقيسته ٣٤× ٣٤× ٦سم، وقد عثرنا على طبقات عديدة من تباليط الجص في وسط الغرف تساوي في العدد طبقات ملاط الجص على أوجه الجدران، وكلّ تبليط منها ليس إلا استمرار لأحد الملاطات الموجودة على أوجه الجدران من الدّاخل.

الزّينة في الطّبقة الثّالثة:

كانت الدّار المزينة بزخارف الستوق Stucco وذلك في بعض المحلات الخاصة، على أننا لم نعثر إلا على قليل منها في محلاتها الأصلية، وكان ذلك في موضعين: الأوّل في منكبي المدخل الشّمالي للقاعة المضلعة «٣٤» والثّاني في وجه نصف

العمود الشّمالي للطارمة «٩٣»، أمّا باقي قطع الستوق وهي كثيرة فقد وجدت متناثرة بين الرّدم وفي وسعنا حصرها في المواقع الآتية:

١- في الأقسام الواقعة أمام البوائك للجبهات الأربع للساحة «٩١» وتتكون زخارف هذه المواقع من:

أ- أنصاف الأعمدة المصنوعة من الجص والآجر الصّغير مع بقايا عقودها المدرجة وهي الّتي تشكل البوائك الزّخرفية العمياء.

ب- قطع المشاكي المدورة والمدرجة الّتي تشكل بقية الزّخارف على جبهات السّاحة وتقع عادة بين البوائك العمياء انظر الشّكل «٩- أ».

ج- بعض قطع من الجص ذات بقايا زخارف مغلظة ذات تعابير نباتية لا يمكن معرفة أشكالها بالضّبط

٢- في جميع أقسام البهو الكبير ذي الأروقة وخاصة أمام القاعة المضلعة «٣٤» وحول العمودين الوسطيين في الجانب الشّرقي من البهو.

وتتكون هذه الزّخارف من قطع صغيرة تشير إلى نماذج ذات تعابير نباتية وهندسية ومن بينها قطع من أنصاف أعمدة على شكل جذوع النّخيل وربما كانت بقايا أنصاف أعمدة البوائك العمياء الزّخرفية الّتي تشبه كثيراً أعمدة بوائك قصر الحير الصّغير[١] في أعلى برجي المدخل، انظر الزّخرف أ في الشّكل «١١» ويلاحظ أنّ هذه القطع تتكون من قشرة ظهرها الخارجي معرج يشبه جذوع النّخيل المشذبة، وبطنها المقوس يدل على أنّها كانت تلف حول أنصاف أعمدة صغيرة، وقد عثر على ما يشابهها في زخرفة قصر الحير الغربي[٢] حيث وجدت على عقد مدخل القاعة «٢٩» المزخرف، وفي الشّكل «١١» الزّخرف رقم «٩» يشير إلى الأقسام العليا من أنصاف الأعمدة النّخيلية الّتي تشكل مع الجامات المضلعة أو المدورة الشّعريات الّتي تزين مداخل البهو وجدرانه، ولعل الزّخارف الّتي في الشّكل ذاته، المرقمة ٣- ٤- ٧ بقايا أواسط تلك الجامات، وتحتوي هذه القطع على بقايا تعبيرات زهرية ونباتية محورة ويحتوي البعض الآخر على المراوح النّخيلية الّتي وضعت داخل إطارات مفصصة رقم «١٣» في الشّكل «١١».

٣- في الموقع الكائن قبالة الباب المستحدث في الضّلع الغربية للسور الدّاخلي أي الفتحة الوسطى من الجانب الدّاخلي شمال السّاحة «٦٢» في الطّبقة الثّالثة في دورها الأوّل وهذه القطع شبيهة بما ذكرناه سابقاً وتحتوي على النّماذج رقم «١٣» و«١٤» و«٤» في الشّكل «١١» وكلّها يمثل بقايا جامات زخارفها ذات تعبيرات نباتية محورة أو هندسية مفننة، ومن الجدير بالذّكر أنّ معظم هذه القطع الّتي عثرنا عليها كانت ملونة بالألوان الأربعة الآتية: الأحمر القرمزي، والأزرق، والأصفر والبرتقالي، أمّا القطع غير الملونة فكانت مغطاة بقشرة رقيقة من لعاب البياض المكون من الكلس النّقي «بورك» ومن أهم ما وجد بين هذه القطع قطعة من الجص على هيئة الكف بالحجم الطّبيعي رقم «١٣» في الشّكل «١١» ويلاحظ أنّ الأصابع تضغط على بقايا جسم ربما كان قسماً من فخذ بهيمة، وعلى هذا ربما كانت هذه القطعة ترجع إلى صورة آدمية تحمل حيواناً كالّتي وجدت في افريز رواق الطّبقة العليا في قصر الحير الغربي[٣].

وتدلنا هذه القطعة على أنّ دار الإمارة في الكوفة كانت مزدانة في أيّام عزها بالصّور الآدمية على غرار القصور الأموية كقصر المشتى، والحير الغربي، وخربة المفجر.. الخ.

أمّا الزّخارف الّتي وجدت في محلاتها الأصلية فكانت على نوعين: الأوّل يتمثل بعضادتي المدخل الشّمالي للقاعة «٣٤» المضلعة وزخارفها تمثل أشرطة مستطيلة ذوات حافات مفصصة من الجانب الخارجي ولولبية الشّكل من الجانب الدّاخلي.

وفي وسط هذه الأشرطة جامات دائرية الشّكل ملتصقة ببعضها بعضد شبيه بعضد عريش العنب وفي وسط كلّ جامة زخرف يختلف عن زخرف الجامة الّتي تليها، وتتكون الزّخارف من مراوح نخلية وورق العنب وكيزان الصّنوبر والأزهار المحورة[٤]، والزّخرف الثّاني يلف حول نصف العمود الشّمالي للطارمة «٩٣» ويتكون من مربعات ذوات حافات مزدوجة بداخلها زخرف بسيط على شكل ورقة نبات محورة ذات ثلاثة فصوص في مؤخرة كلّ منها ثقب، ورتبت المربعات حسب التّرتيب القطري بينما رصفت الأوراق عمودياً أي في اتجاهات الزّوايا انظر الشّكل «٩- ب»، ويبلغ طول ضلع المربع الواحد نحو ١١،٥سم أمّا ثخن الإطار المزدوج مع الأخدود الوسطي فيبلغ نحو ٢،٨سم، ويشبه هذا النّوع من الزّخرف إطارات بعض الحشوات الجصية وعقد أحد الأبواب في قصر الحير الغربي[٥]، إلا أنّ الفرق واضح في طريقة عمل الورقة في هذا الزّخرف والورقة المستعملة في مربعات زخارف قصر الحير الغربي،

(١) انظر: K. A. C. Creswell, Early Muslim Architecture, Part I, Pl. 55-a-b.

(٢) انظر دانيال شلومبرجه، ترجمة إلياس أبو شبكة، قصر الحير الغربي «عقد القاعة ٢٩».

(٣) شلومبرجه: قصر الحير الغربي، قبالة صحيفة «٤٨».

(٤) «سومر» الجزء الأوّل من المجلد العاشر، الشّكل «٧» أعلى اليمين.

(٥) شلومبرجه: قصر الحير الغربي، عقد مدخل القاعة «٢» وإطار الشّعرية على باب القاعة رقم «٣٥».

وكذلك نجد تبايناً واضحاً في الأسلوب والتّنسيق الفني بين هذا الزّخرف على العموم وباقي الزّخارف الّتي عثرنا عليها في دار الإمارة، فالزّخرف الّذي نحن بصدده عبّاسي الطّراز يعود إلى النّماذج المبتكرة الّتي شاعت في العصر العبّاسي والّتي أخذت تتجه نحو التّجرد وتعتمد في زخرفها على التّفريعات النّباتية والأشكال الهندسية الموضوعة داخل الإطارات المضلعة.

وقد صنعت الزّخارف المكتشفة في دار الإمارة على طريقتين: الأولى بطريقة صبه داخل القوالب والثّانية بالطّريقة الابتدائية المتكونة من رسم الزّخارف وحفرها على الملاط الطّري في أوجه الجدران، فقد وجدنا عدة قطع من هذه الزّخارف تشير إلى النّموذج الأوّل وعلى الأخص المصنوعة على شكل حشوات كاملة علقت فيما بعد على أوجه الجدران، بينما يشير البعض الآخر على أنّه كان من صلب ملاط الجدران صنع بالطّريقة الثّانية أي بالرّسم المباشر على ملاط الجدران.

وتدل الآثار الزّخرفية على أنّ الدّار كانت كذلك مزينة بالنّقوش الحائطية ذوات الأصباغ المائية حيث عثرنا على قطع كثيرة من الملاط الملون بالألوان الآتية: الأحمر القرمزي والأحمر النّبيذي والأزرق والأخضر الغامق واللون البرتقالي والأسود، أمّا أنواع وأشكال الرّسوم الّتي كانت تتألف منها هذه الألوان فلم نتوصل إلى معرفتها لأننا لم نعثر على رسم كامل باق على أوجه الجدران، وغاية ما وجد من القطع الملونة إنما هو أجزاء قليلة غير واضحة من العناصر الزّخرفية المستعملة في زينة الجدران، وتتناثر هذه القطع في كثير من مرافق الدّور المختلفة المشيدة داخل السّور الدّاخلي وكذلك في الأواوين والغرف المشيدة بين السّورين.

غير أنّ أكبر كمية من هذه القطع الملونة عثر عليها في ردم القاعة «٥٥» قرب الأبواب الشّمالية وعند الضّلع الغربية، وقد عثر على شريط من اللون الأحمر القرمزي على ملاط الجدار الغربي قرب الزّاوية الجنوبية الغربية وعلى ارتفاع نحو ٥٧سم عن تبليط الجص الثّاني من الأسفل أي في زمن الطّبقة الثّالثة في دورها الأوّل، ويعتقد أنّ هذا الشّريط كان بداية الرّسوم الحائطية من الأسفل.

وتحتوي كسر الجص الملونة على بقايا خطوط سود هي أطر وحواشي الرّسوم الملونة بالأصباغ المائية، وتشير هذه الخطوط السّوداء إلى أنّ الرّسوم كانت متنوعة تشمل الأشكال الحيوانية والنّباتية الهندسية وهي الغالبة ونلاحظ رسوماً باللون الأحمر النّبيذي المحدد باللون الأسود، ولم نلاحظ بين هذه القطع آثاراً تدلنا على أنّ في الدّار زينة مصنوعة بطريقة الظّلوم أي الألوان الممزوجة بالجير الحي والموضوعة على الملاط الطّري.

ولم نعثر كذلك بصورة عامة على آثار تدلنا على وجود الفسيفساء أو الكاشي أو الموزاييك، إلا أننا وجدنا قطعاً قليلة مضلعة من الرّخام المعرق ذوات حافات مشطوفة ربما كانت بقايا قطع الموزاييك الرّخامي، إلا أننا نميل إلى الاعتقاد بأنّها كانت بقايا تبليط من الرّخام لغرف الحمامات كالّتي شهدناها في بعض حمامات بيوت سامراء، وتتكون من مثلثات أو مربعات ترصف بوضعيات مختلفة تشكل تباليط ذوات مناظر زخرفية وعلى الأخص هندسية التّعابير ويشمل رصف هذه القطع وزرة الجدران إلى ارتفاع معين كما هي الحالة في زخارف الستوق.

وقد عثر بين النّقض في بعض المحلات من الدّار على كسر قليلة من الخشب المتلف، ولم نجد بين هذه القطع ما يشير إلى الزّخارف المصنوعة من الخشب كالشّبابيك المزينة والرّوافد أو الأبواب ذوات الحشوات المزخرفة، وعلى الأغلب لم تكن الدّار خالية من زخارف الخشب إلا أنّ الموقع في حالته الحاضرة واطئ جداً تكثر فيه الرّطوبة والسّبخ وهما عاملان مساعدان على تآكل المواد السّريعة العطب ولاسيّما الخشب.

الكتابات والنّقوش المحززة

وجدت بعض الكتابات فوق لطوش الجص بالخط الكوفي وباللون الأسود وكتبت بحروف صغيرة وكبيرة، وبعضها شبيه بخطوط المسكوكات.

وقد عثرنا عليها في موقعين الأوّل: فوق لطوش الوجه الدّاخلي للضلع الغربية من القاعة «٥٥» على ارتفاع متر عن تبليط القاعة وفوق الكساء الثّاني قبل الأخير أي تعود إلى زمن الطّبقة الثّالثة في دورها الأخير، والموقع الثّاني فوق لطوش الطّارمة «٨٥» في الكساء الثّاني بعد الأوّل أي أنّها تعود إلى زمن الطّبقة الثّانية في دورها الأخير، ووجدت على الوجه الدّاخلي من الجدار الشّرقي وكذلك في الوجه الدّاخلي للجدار الشّمالي على يسار الباب المؤدي إلى القاعة «٦٨» والكتابة الأخيرة هذه كانت بخط شبيه بالخط الكلداني أو الآرامي.

كتابات القاعة «٥٥» عبّاسية الزّمن حيث أنّها تعود إلى أواخر النّصف الثّاني من القرن الثّاني للهجرة حسب التّسلسل الزّمني لطبقات دار الإمارة، أمّا الكتّابات الأخرى الكوفية منها الّتي خطت بالحروف الكلدانية أو الآرامية فتعود إلى العصر الأموي، حيث أنّ الدّار في طبقتها الثّانية أموية وتعود في دورها الثّاني إلى أوائل النّصف الأوّل من القرن الثّاني للهجرة.

ومعظم هذه الكتابات ينطوي على معاني الاستغفار والتّوبة، إلا أننا لم نتمكن من قراءة أكثرها لأنّ معالمها قد طمست من فعل الرّطوبة وملح الجدران المتكلس فوقها، وندرج

هنا نماذج هذه الاستغفارات من كلا الزّمنين المختلفين، وقد حاول السّيد ناصر النّقشبندي مدير قسم المسكوكات في هذه المديرية قراءة بعضها، ومن تلك الكتابات العبّاسية:

رقم -٣ كوفة- ١٦٧ «القاعة ٥٥»:

١- بسم الله الرّحمن الرّحيم.

٢- اللهم اغفر لإسحق بن يعقوب.

٣- الفرس من أهل «التّقوى»؟

ومن الكتابات الأموية:

رقم -٣ كوفة- «١٧٤» الطّارمة «٨٥»:

١- بسم الله الرّحمن الرّحيم.

٢- دعواكم.. إلى الجنة.

٣- محمولة...

رقم -٣ كوفة- ١٧٢ «الطّارمة ٨٥»:

١- اللهم اغفر لحجر بن عبد الله.

٢- محمّد ولا... إلا... لا....

٣- ... ...

وكذلك عثرنا على كتابة بالخط الكوفي حفرت في ملاط القاعة «٥٥» بالحروف الكبيرة، وتذكر اسم «مسلم بن عقيل» تتقدمها كلمة، وكانت هذه الكتابة ضمن نقوش هندسية قوامها دوائر وأشكال مضلعة داخل دوائر، وقد نقشت بطريقة الحز على آخر لطوش زمن الطّبقة الثّالثة في دورها الثّاني.

الطّبقة الثّانية لدار الإمارة

ذكرنا سابقاً من أنّ دار الإمارة في الطّبقة الثّانية بسوريها الخارجي والدّاخلي وكذلك معظم مرافق الدّور المشيدة داخلهما قد أعيد استعمالها وقطنها سكان الطّبقة الثّالثة بعد ترميمها وتبديل بعض مداخلها، وعلى هذا فالكلام الخاص بوصف المعالم المعمارية الّتي دونت في وصف الطّبقة الثّالثة في دورها الأوّل ينطبق على معظم مرافق الطّبقة الثّانية في دورها الثّاني الأخير ما عدا الوحدة البنائية المستحدثة في شمال المستطيل الغربي من الطّبقة الثّالثة في دورها الأوّل، حيث أنّ الوحدة البنائية المذكورة قد شيدت بعد نقض الدّار الّتي كانت تحل تلك الجهة وتدل بعض معالمها المعمارية الواقعة أسفل الوحدة الجديدة على أنّها كانت تناظر في التّخطيط والشّكل الوحدة البنائية الواقعة في الجانب الشّرقي والمشيدة على الطّراز البنائي المعروف بالحيرى، المتكونة من الطّارمة «٩٣» والإيوان «٩٥» ومجنباته.

وقد أيدت كذلك الحفائر العمودية الّتي شقت عند المدخل الرّئيسي في الشّمال وفي معظم المحلات الواقعة في المستطيلين الشّمالي والشّرقي إنّ ريازة الطّبقة الثّالثة في دورها الثّاني الأخير وأقيستها تطابق معظم ريازة الطّبقة الثّالثة وأقيستها في دورها الأوّل ما عدا بعض التّغييرات المذكورة آنفاً.

وكشفت لنا بعض هذه الحفائر العمودية ولاسيّما الّتي جرت في شمال المستطيلين الغربي والوسطي على المعلومات الإضافية الآتية:

١- وجود بقايا جدران وأعمدة كانت مشيدة في القسم الشّمالي من المستطيل الغربي نقضت عند تشييد السّاحة «١٠٠» في زمن الطّبقة الثّالثة في دورها الأوّل، وإنّ ريازة هذه الأبنية المنقوضة غير واضحة غير أنّها كانت مشيدة بالآجر والجص وفي بعضها بقايا قواعد الأساطين المصنوعة من الحجر الرّملي.

٢- عثر على بعض المواقد الّتي شيدت لصق الوجه الغربي للضلع الغربية من السّور الدّاخلي في الدّور الثّاني من الطّبقة الثّانية، وتتكون هذه المواقد على شكل معالف مستطيلة الشّكل عرضها من الدّاخل نحو ٥٠سم وثخن جدرانها نحو ٢٥سم وعمقها نحو ٤٥سم بلطت أرضيتها بالجص، ومازالت بقايا الرّماد وآثار الحرق ظاهرة عليها، انظر الشّكل «٦».

٣- إنّ المدخل الرّئيسي في وسط الضّلع الشّمالية من السّور الدّاخلي قد جرت عليه تغييرات في الدّور الثّاني من الطّبقة الثّانية، حيث ضيقت فتحته من الدّاخل ببناء دعامتين على جانبيه بعرض المنكبين الخارجيين انظر الشّكل «٤» وبهذا ذهبت الحنية الدّاخلية للباب.

٤- كانت تمر خلال هذا الباب الرّئيسي أنابيب تصريف المياه القذرة الآتية من مجاز المدخل والذّاهبة نحو الجانب الشّمالي الشّرقي، وربما كانت هذه الأنابيب تتصل بمجرى آخر كبير لم نعثر عليه لحد الآن، وتتكون هذه الأنابيب من قطع فخار اسطوانية الشّكل قطرها نحو ١٠سم وطولها نحو ٤٨سم، يضيق أحد طرفيها فيصبح على شكل عنق فوهته نحو ٦،٥سم، وقد صنعت على شكل أنبوب طويل يأتي من وسط المجاز «٧٩» ويذهب نحو الشّمال ومن ثمّ ينحرف على بعد ٢،٦ متراً عن واجهة الباب الخارجية نحو الشّرق حيث صنعت له عكوس خاصة على شكل زاوية قائمة طول ضلعها نحو ٣٣سم، وقد أدخلت الأطراف الضّيقة من الأسطوانات داخل الأطراف الواسعة متجهة نحو الخارج حتّى لا تعرقل سير المياه، وربطت بالزّفت عند المفاصل.

وقد وجدنا هذه الأنابيب في الدّورين الأوّل والثّاني من الطّبقة الثّانية، الأنبوب الأسفل واسع الفوهة والمسافة بين الأنبوبين نحو ٣٠سم حيث وضع الأخير منها بعد تضييق الباب في الدّور الثّاني انظر الشّكل «٤» المقطع العمودي.

عدة الطّبقة الثّانية

بما أنّ معظم جدران الطّبقة الثّالثة من دار الإمارة وسوريها هي ذاتها في الطّبقة الثّانية لهذا فإنّ لوازم بناء الطّبقة الثّانية وأقيسة آجرها ومادة ربط مداميكها لم تتغير عنها في الطّبقة الثّالثة.

وتحتوي هذه العدة على الآجر الكبير الجصي والنّورة والرّماد في تشييد الجدران والأسس، أمّا تباليط الغرف فكان في معظم المحلات المكشوفة في الموسمين السّابقين يتكون من الجص الممزوج بالحصى النّاعم وخشانة الجص، وأحياناً كسر الآجر، وكان الجص المستعمل في هذه الطّبقة يميل إلى الاحمرار لوجود الرّمل الأحمر فيه وقد عثرنا على تباليط من الآجر الكبير بحجم ٣٠× ٣٠× ٦سم وجدت في قليل من الغرف وأكثر السّاحات وعلى الأخص في السّاحة «٩١» حيث وجدناه في قعر حفرتين نزلا فيهما قرب الأسطوانة الجنوبية للواجهة الغربية منها.

الزّينة في الطّبقة الثّانية

لم نعثر على بقايا زخارف الستوق والرّسوم الملونة الّتي تشير بالضّبط إلى زينة الطّبقة الثّالثة، إلا أنّ في وسعنا القول أنّ بعض الزّينة المكونة من زخارف الجص الّتي عثرنا عليها في الطّبقة الثّالثة يعود زمن صنعها إلى الطّبقة الثّانية، وعلى الأخص نقوش البوائك العمياء والمشاكي المدورة المدرجة انظر الشّكل «٩- أ» الّتي وجدت ساقطة أمام الجبهات الأربع المطلة على السّاحة «٩١»، وفي بعض القطع الجصية تقارب بين زخرفها وزخارف القصور الأموية المشيدة في البوادي كقصر الحير الغربي وخربة المفجر وقصر المشتى، على أننا نلاحظ في زخرفة أكثر هذه القطع وجود تطور حدث على زخرفة الجص في العصر العبّاسي ولاسيّما في طرق استعمال العناصر الزّخرفية الّتي أخذت تميل إلى التّجرد والبعد عن الطّبيعة.

أمّا زينة النّقوش الملونة والفسيفساء والموزاييك فلم نعثر على شيء من آثارها، ولسنا ننفي وجود مثل هذه الزّينة لأنّ المحلات الّتي كشفنا عنها في هذه الطّبقة تتكون من حفائر ضيقة أو أنّها كانت مخربة من جراء تشييد أسس الطّبقة الثّالثة ولذا فمجال العثور على هذه الآثار في مثل هذه الحالات ضيق جداً.

الطّبقة الأولى من دار الإمارة

ذكرنا في التّقرير الأوّل للموسم الثّالث أنّ الطّبقة الأولى تتكون من بقايا أسس لبناء كان في الأصل داراً كبيرة بحد ذاتها، وما هذه الأسس إلا بقايا جدران تلك البناية الّتي هدمها بناة الطّبقة الثّانية الّتي تليها.

وقد كشفنا في هذا الموسم عن أجزاء جديدة تعود إلى تلك الدّار وتتكون من بقايا أسس المدخل الرّئيسية في الضّلع الشّمالية منه والرّكنين المتقابلين للبرجين الواقعين على جانبي المدخل وقسم كبير من أساس البرج الشّمالي الشّرقي انظر المخطط العام الشّكل «١» والمخططات «٤- ٥- ٦» ومقاطعها.

وقد أيدت حفريات هذا الموسم الافتراض الأوّل الّذي قلنا فيه أنّ أسس سور الطّبقة الأولى تسير مع اتجاهات أضلاع سور الطّبقة الثّانية، حيث وجدنا أنّ الضّلع الشّمالية للطبقة الأولى تتجه بمحاذاة الضّلع الشّمالية للطبقة الثّالثة انظر الشّكل «١٢» وكذلك نجد أساس القاعدة للركن الشّمالي الشّرقي من الطّبقة ذاتها تقع مباشرة أسفل برج الرّكن الشّمالي الشّرقي للطبقة الثّانية انظر الشّكل «١٦»، وكذلك وجدنا أنّ جميع الأبراج الجانبية المستخرجة من الطّبقة الثّانية تقع فوق بقايا قواعد أبراج الطّبقة الأولى، وعلى هذا الافتراض سيكون عدد الأبراج في جميع الطّبقات متساوية في العدد فيكون عدد أبراج الطّبقة الأولى عشرين استخرج من قواعدها حتّى الآن تسعة، أربعة منها في الموسم الثّاني وخمسة في الموسم الثّالث الأخير، وكذلك يمكن أن نقول أنّ أبعاد الدّار للطبقة الأولى من الدّاخل نحو ١١٣،٩٥ متراً من الشّرق إلى الغرب ونحو ١١٣،٨٦ متراً من الشّمال إلى الجنوب، وثخن جدران السّور يتراوح بين ١،٨٠ متراً ومترين ونجد كذلك أنّ أبعاد قاعدة البرج الشّمالي الشّرقي نحو ٦،٦٣ متراً من الجانب الغربي و٦،٥٥ متراً من الجانب الشّمالي وبروزها عن وجه السّور نحو ١،٦٢ متراً ويلاحظ أنّ جزءاً من جانب قاعدة البرج الأوّل في الضّلع الغربية ذاهب من جراء حفر الخندق الكبير الّذي ذكرناه عند وصف الطّبقة الثّالثة.

ولأوّل مرة نعثر في هذا الموسم على بقايا تبليط من الآجر الكبير المهشم والجص يعود إلى هذه الطّبقة، ويحف بالضّلع الغربية من الخارج، وقد وضع مباشرة على الرّمل الأحمر الصّرف انظر الشّكل «١٣»، وأسفل السّهم.

الشكل ٤ - المخطط الأفقي والعمودي للمدخل الرئيسي

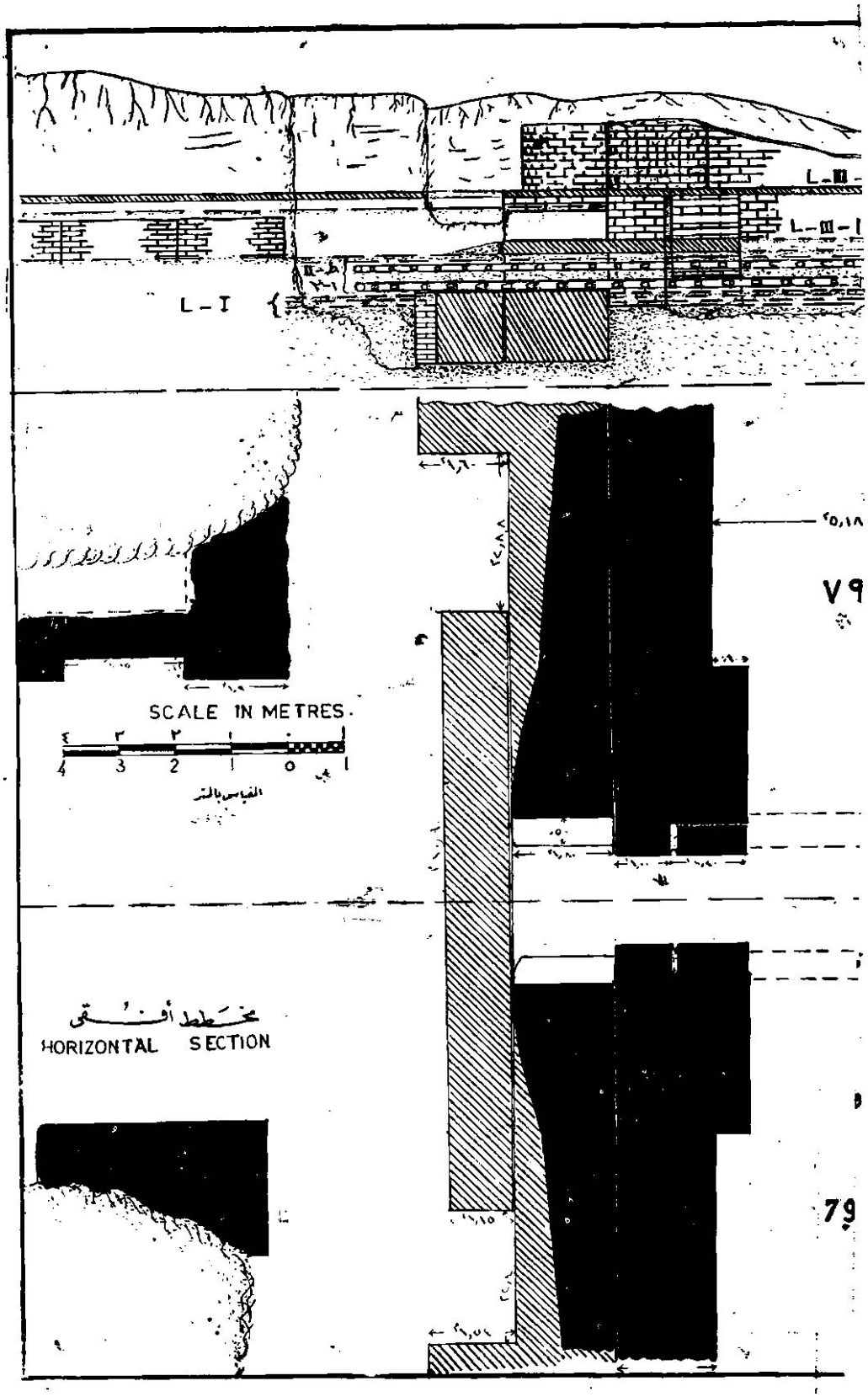

في السور الداخلي

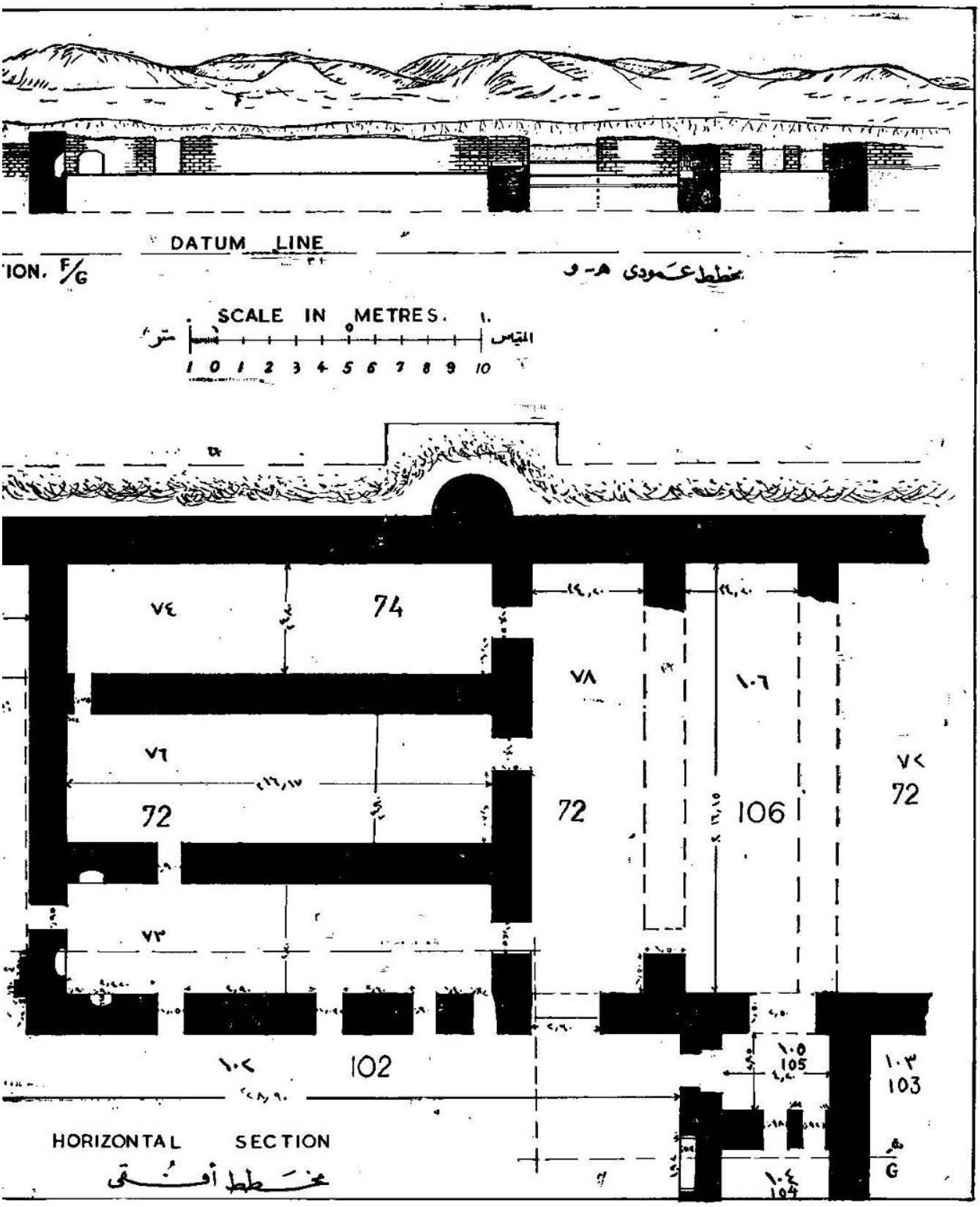

الشكل : ٥

المخطط الافقى والعمودى للزاوية الشمالية الشرقية من السور الداخل .

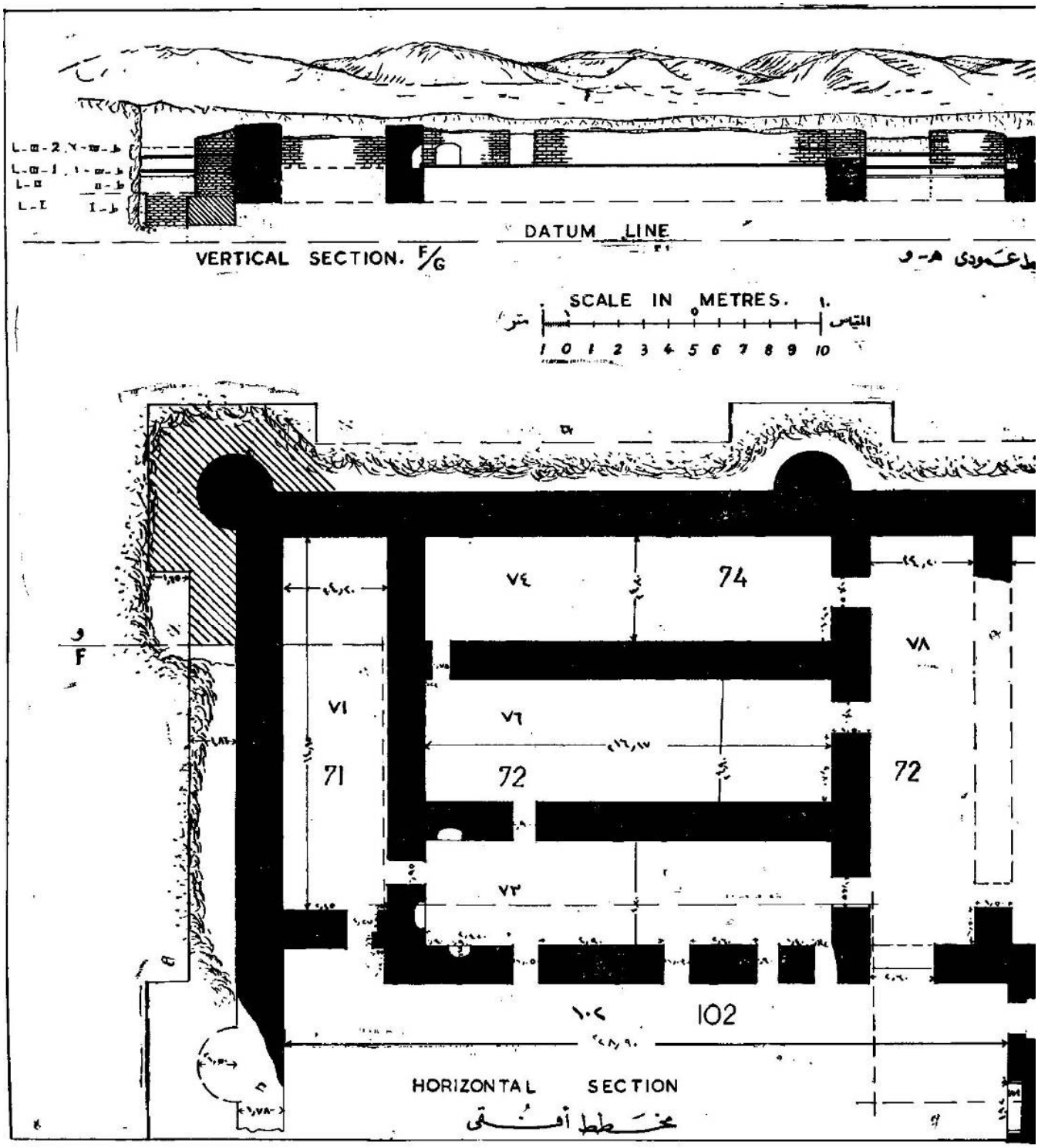

الشكل : ٥

المخطط الافقي والعمودي للزاوية الشمالية الشرقية من السور الداخلي .

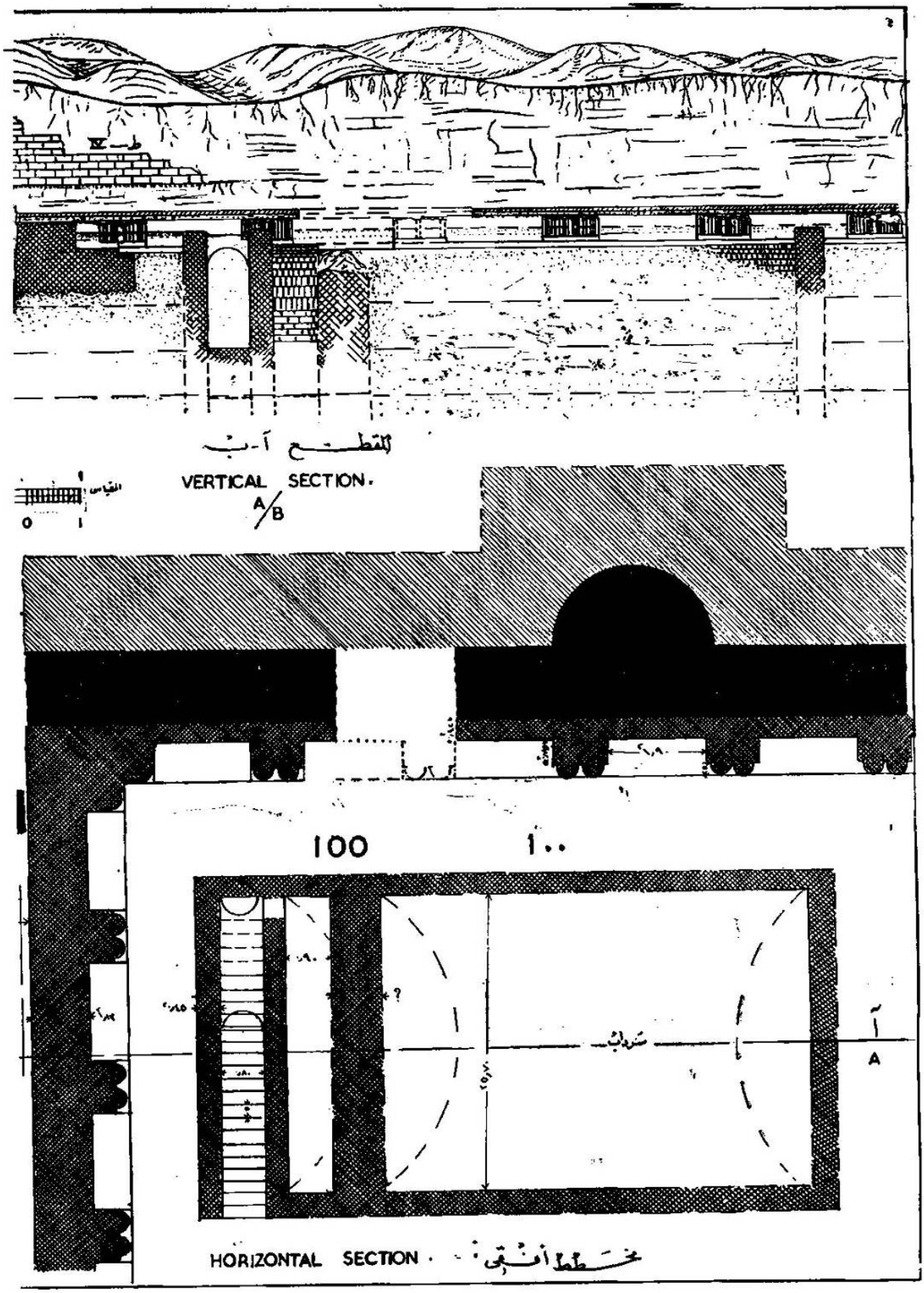

الشكل ٦ - المخطط الأفقي والعمودي للزاوية

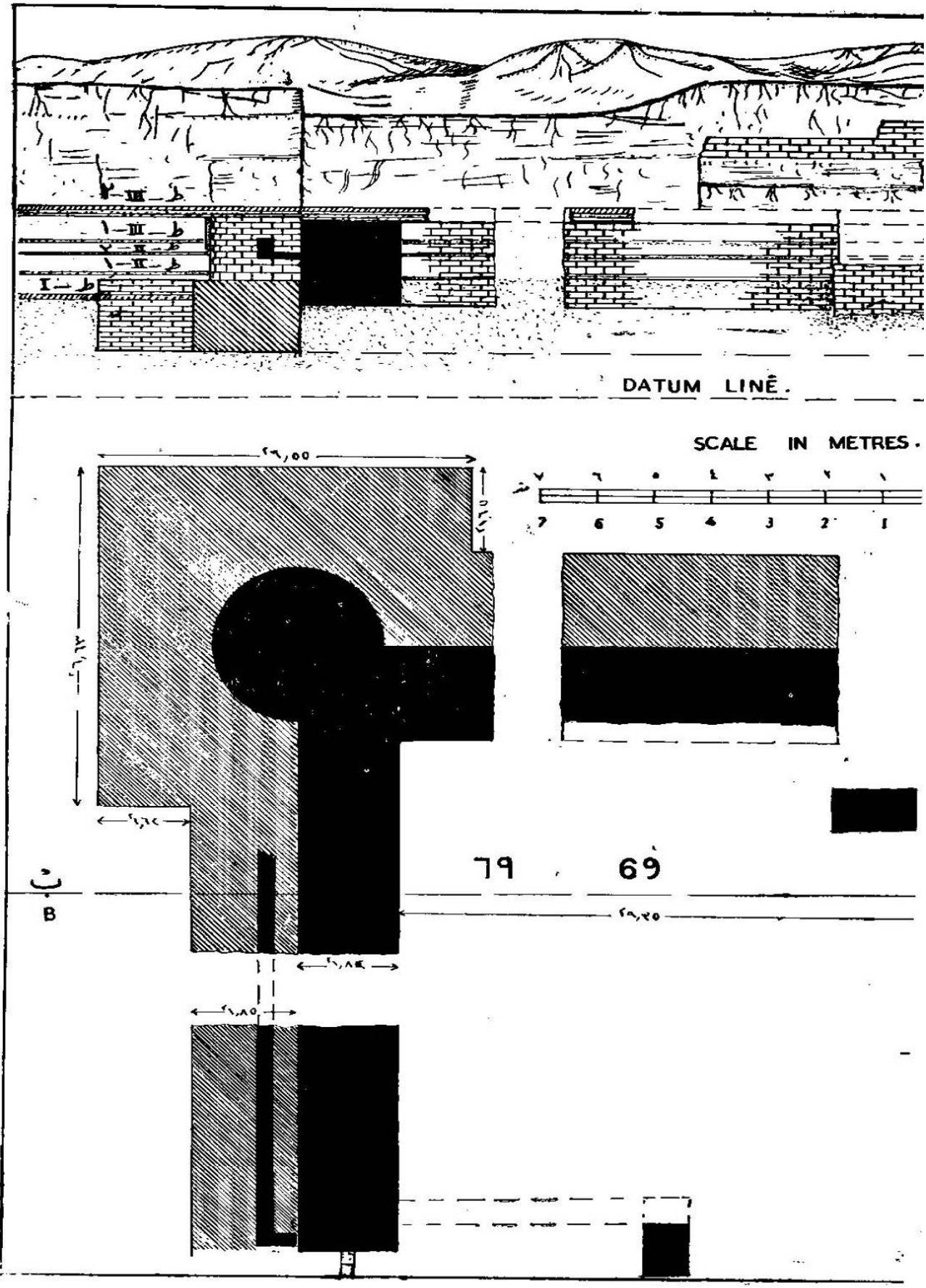
DATUM LINE.
SCALE IN METRES.
7 6 5 4 3 2 1
B
69
79

ويرى من المخططات «٤- ٥- ٦» ومقاطعها ترتيب طبقات دار الإمارة الثّلاث بالنّسبة إلى بعضها حيث نجد أنّ أساس الطّبقة الثّانية ينزل إلى عمق نحو ٥٠سم بمحاذاة الوجه الدّاخلي لسور الطّبقة الأولى، أي أنّ مستوى قعره ينخفض بمقدار ٢٠سم عن مستوى أوّل تبليط للطبقة الأولى، وبهذا لا يمكننا أن نعثر على تباليط الطّبقة الأولى في الأقسام الكائنة قرب السّور من الدّاخل، ونلاحظ كذلك أنّ أبراج الطّبقة الثّانية لا تنزل مع أسس جدران أسوارها بل نراها ترقد مباشرة فوق بقايا قواعد أبراج الطّبقة الأولى.

ونجد في محاذاة الضّلع الشّمالية من الطّبقة الأولى بقايا مسطبة مستطيلة الشّكل طولها ١٠،٩٠ متراً وعرضها ١،١٥ متراً لصقت على الوجه الخارجي بين البرجين الوسطين للضلع الشّمالية، وعلى الأغلب كانت هذه المسطبة أساس بروز المدخل الرّئيسي للطبقة الأولى انظر الشّكل «٤»، غير أننا نشاهد أنّ البعدين بين هذه المسطبة والبرجين اللذين يحفان بها من الجانبين غير متساويين، إذ أنّ البعد في الجانب الشّرقي أطول بـ ٤٨سم من البعد الغربي وبهذا لم يكن الباب الرّئيسي في الطّبقة الأولى في وسط المسافة بين البرجين الجانبين.

ويؤخذ من تخطيط هذه الطّبقة أنّ معدل البعد بين قواعد أبراجها نحو ١٨،٣٠ متراً.

ولم ننزل في حفرياتنا لهذا الموسم في الأماكن الواقعة داخل السّور لهذه الطّبقة، إلا أنّ تحرياتنا في المقاطع المحفورة في الموسم السّابق في الأماكن الواقعة في المجاز «٣٠» وفي الغرفة «٣١» تؤكد لنا وجود بعض الأسس وقطع التّباليط العائدة لهذه الطّبقة، غير أنّ ضيق المحلات المنقب فيها لا يفسح لنا الإسهاب في وصف هذه الأجزاء.

عدة بناء الطّبقة الأولى:

شيدت جدران سور الطّبقة الأولى من الخارج بالآجر ذي الحجم الكبير الموحد وأبعاده نحو ٣٦× ٣٦× ٩سم، لبّة الآجر ذات لون أصفر فاتح وجوانبه مائلة إلى الخضرة، وقد اعتنى بصقل وجوهه الخارجية ورصف رصفاً منسقاً، وقد لاحظنا في هذا الموسم من بعض المقاطع أنّ الوجه الدّاخلي للسور غير منظم ولا يعرف ما إذا كان ذلك ناتجاً عن أعمال حفر أسس الطّبقة الثّانية، غير أنّ بقايا أسس قواطع المرافق الدّاخلية المكتشفة في الموسم السّابق تشير إلى عدم الاعتناء بصف الآجر وإنّ الآجر المستعمل في البناء يتكون من حجوم مختلفة وقد استعمل معها كسر الآجر أو أنصافه، غير أنّ مادة الجص كانت هي الوحيدة المستعملة في ربط صفوف الآجر، وكذلك استعمل الجص في معظم تباليط هذه الطّبقة ممزوجاً مع كسر الآجر أحياناً.

لم نعثر في هذا الموسم ولا في الموسم الثّاني السّابق على آثار تدلنا على وجود الزّخرفة أو الزّينة في هذه الطّبقة، فقد قلنا أنّ العمل كان مقتصراً على تتبع أسس الدّار من الخارج، وما تبقى من مستويات التّباليط قليلة جداً والأقسام المنقب فيها من الدّاخل ضيقة جداً لا تساعد على العثور على ما كنا نتوخاه من الآثار المنقولة أو بقايا الزّخرفة الّتي كانت تزين الدّار.

الخزف:

من الآثار المنقولة الّتي عثرنا عليها في دار الإمارة وعلى الأخص فوق تباليط الدّور الثّاني من الطّبقة الثّالثة العبّاسية بعض الأواني من الخزف المتنوع وكثير من شقف الخزف المنقوش.

وتحتوي هذه المجموعة من الخزف على أواني الغفل من النّقوش والدّهان وتمثل أواني الملح الصّغيرة والصّحون المفلطحة ذوات النّتوء الدّائري في وسط القصر، وكذلك على الآنية الصّغيرة الأخرى والمسارج المفتوحة والمزججة باللون الأزرق الفاتح واللون البني الغامق انظر الشّكل «١٤» وكذلك وجدت بينها بعض الأواني الكبيرة المزججة بالأزرق الغامق فوق الرّسوم المحززة أو المحفورة على سطوحها انظر الشّكلين في أسفل العمود أ من الشّكل «١٤».

إلا أنّ الخزف غير المدهون والمزخرف بالنّقوش المحززة أو الملقحة «الزّخرف بطريقة الصّب بالقرطاس» Barbotine Technique هو الغالب على هذه القطع المعثور عليها في معظم مرافق الطّبقة الثّالثة وفوق بعض تباليط الثّانية من أعلى، وبين هذه القطع كثير من القبضات المزخرفة على أنواعها.

أمّا رسوم القطع المزخرفة فيغلب عليها الأشكال الهندسية كالمثلثات والمعينات المتصلة ببعضها أو المنقوشة داخل دوائر متصلة أو منفصلة، وفي معظم الأحيان تملأ ساحات هذه الأشكال بخطوط ناعمة متقاطعة أو بتهشيرات لخطوط قصيرة متوازية، وأحياناً تستبدل الخطوط المتقاطعة بالدّوائر الدّقيقة ذات المراكز المنقطة، أمّا التّعابير النّباتية فيمكن ملاحظتها بين هذه الرّسوم بسهولة إلا أنّ الاتجاه فيها يميل إلى الزّخرفة المجردة والمحورة عن الطّبيعة كلّ التّحوير، وتحتوي هذه التّعابير على تفريعات نباتية يتخللها دوائر صغيرة وفي بعض الأحيان على رسوم لمراوح نخلية مجردة تحز بشكل مجموعات يكمل زخرفها بالدّوائر الصّغيرة المنقطة انظر الشّكل «١٥» والشّكل «٧» في التّقرير السّابق[١].

أمّا زخارف قبضات الأواني المنقوشة فكانت على أشكال مختلفة: فمنها صورت على أشكال حيوانات خرافية كالعنقاء ومنها على هيئة بعض الزّواحف كالحيات والضّب أو على هيئة الطّيور، أو إنّ أعاليها زينت بأنواع الزّهور انظر الشّكل «١٥» والشّكل «٥» في التّقرير السّابق[٢].

وقد صنعت جميع هذه الأشكال الزّخرفية بطريقة الصّب بالقرطاس غير أنّ شكلها لا يدل على إتقان في الصّنع، ومن هذه الصّناعة الأولية في النّقش والصّب بالقرطاس نشأت صناعة جديدة مبتكرة أخذت تشق لها الطّريق في العصور التّالية للقرن الثّالث من الهجرة حتّى أصبحت في أوج عظمتها في زمن الأتابكة في القرن الحادي عشر والثّاني عشر للميلاد.

ويشير تنوع أشكال زخرفة هذه القبضات بوضوح إلى المحاولات الأولى الّتي اختص بها الفنانون المسلمون في القرن الثّامن والتّاسع للميلاد في البحث عن المصادر القديمة المتنوعة ونقلها إلى الفنون الإسلامية بمسحة جديدة، والغريب أن نرى التّشابه الكبير بين فكر صناعة بعض الزّخارف القديمة ومنها صناعة الخزف المزخرف وبين الصّناعة الأولية لزخرفة الخزف الإسلامي، حيث نشاهد من أمثلة هذه القبضات التّشابه القوي بين أواني النّذور للعصور السّومرية والبابلية المزينة برسوم الحيات والعقارب والخنافس البارزة وبالصّورة العارية المحورة للآلهة الأم وبين رسوم هذه القبضات المتكونة من الزّواحف والطّيور والأشكال المحورة المجردة في العصر الإسلامي الأوّل على أنّ معظم هذه الأشكال القديمة قد اندثرت من زمن بعيد قبل مجيء الإسلام وأنّ الأدوار المعاصرة لظهور الإسلام كالساسانية والبيزنطية لم تمارسها بصورة واضحة أو على نطاق واسع كما كانت مستعملة في الأزمنة السّومرية القديمة أو كما استعملها الإسلام عند نشأة فنه.

وكانت هذه التّصاوير الزّخرفية ترمز في العصور السّومرية والبابلية إلى بعض الطّقوس الدّينية أو كانت تقوم بإيضاح الأفكار المعنوية على أساس رموز للكتابة عنها.

وكنا نلاحظ بين حين وآخر ظهور هذه العناصر الزّخرفية الدّينية في الأزمنة الّتي سبقت الساسانيين في العراق ولاسيّما في العهد الفرثي حيث نرى استمرار القبضة المزدوجة في صناعة زخارف الأواني الخزفية والّتي تصنع على شكل ضفيرة لولبية في أعلاها نتوء بسيط هي البقية الباقية من دلائل القبضات الّتي كانت تصنع على شكل الحيات، وكذلك نشاهد استعمال وجه السعلاة في زخرفة بعض الأواني الفرثية المزججة أمّا صورة العنقاء فقد استمر استعمالها كعنصر زخرفي أساسي في جميع نحوت هذا العصر وذلك فوق حلقات الأبواب وقبضات السيوف وحزم الرّجال وقبضات أواني النّحاس، وأمّا في ريازة العمارة فكانت عنصراً زخرفياً مهماً في كثير من نحوت مداخل المعابد.

ولعلّ تقارب هذه العناصر الزّخرفية القديمة ومشابهتها للعناصر الزّخرفية الإسلامية تقودنا بوضوح إلى الفكرة القائلة إلى صناع الفن الإسلامي الأوائل كانوا تواقين للبحث عن أكثر المصادر القديمة وإظهارها إلى عالم الوجود بطرق جديدة مبتكرة حتّى أصبح بعد ذلك الفن الإسلامي فناً شاملاً لجميع الفنون القديمة في مختلف العصور إلا أنّ حقية تتبع الأساليب التّقليدية لم تستمر كثيراً بحيث نرى مولد فن جديد أهم مميزاته الابتكار المبدع والمستمر في جميع نواحي الفنون الجميلة، كفن الستوق وصناعة النّسيج والسّجاد وتجليد الكتب والمصاحف وتذهيبها، وصناعة التّحف المعدنية الخ...

(١) سومر، المجلد العاشر، الجزء الأوّل، الشّكل «٧».

(٢) سومر، المجلد العاشر، الجزء الأوّل، الشّكل «٥»، على يسار صحيفة «٨٤».

تعيين أزمنة طبقات دار الإمارة

يمكننا أن نلخص ما ذكرنا في التّقرير الأولى للموسم الثّاني[١] عن تعيين أزمنة طبقات دار الإمارة فيما يأتي:

١- أنّ الطّبقة الأولى من الأسفل تعود:

أ- إلى زمن الفتح الإسلامي للعراق وربما تكون الدّار الّتي شيدها سعد بن أبي وقاص.

ب- أو أنّها أسس لدار كانت مشيدة قبل الفتح الإسلامي.

٢- الطّبقة الثّانية بدوريها الأول والثّاني مع السّورين الخارجي والدّاخلي تعود إلى العصر الأموي.

٣- الطّبقة الثّالثة -بدوريها الأوّل والثّاني- تعود إلى العصر العباسي الأوّل وتنتهي في أواخر النّصف الثّاني من القرن الثّاني للهجرة.

٤- توجد بقايا أثرية تدل على أنّ السّور الخارجي ومرافقه من أواوين وحجرات قد أشغله سكنة القرن الثّالث للهجرة، ومن المحتمل أن تكون البقية الباقية من القصر الّذي شاهده الطّبري المؤرخ الشّهير وأطلق عليه، «القصر الحالي»[٢].

٥- توجد بقايا أسس لبناية أزيل معظم معالمها تدل ريازتها وآثارها على أنّها تعود إلى الدّور الإيلخاني.

أمّا نتائج هذا الموسم فلم تغير من تسلسل ما ذكرناه حيث تشير جميع الأدلة المعمارية والآثار المنقولة على أنّ هذا التّسلسل هو المعول عليه لحد الآن، غير أنّنا نود أن نبين الملاحظات الآتية:

١- أنّ قواعد أبراج الطّبقة الأوّلى من الأسفل مشيدة بشكل مستطيل يلفت النّظر مما يدل على كونها قواعد لأبراج منشورية الشّكل «مستطيلة المقطع» حيث أنّ هذا النّوع من الأبراج لم يعثر عليه في جميع الأبنية الإسلامية القديمة منها والأخيرة لأنّ الأبراج الدّائرية الشّكل من خصائص العمارة الإسلامية.

٢- أنّ الوحدة البنائية المتكونة من القاعة «٥٥» والسّاحة «١٠٠» شيدت في زمن يتراوح بين نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي، فقد وجدنا في التّبليط الآجري الثّاني من الأسفل وبين حلوله في مادة جصة نقدين من النّحاس باسم الخليفة العباسي عبد الله السّفاح وقد ضرب في الكوفة عام ١٣٦ للهجرة وهي آخر سنة من حكمه، ويدل هذا بوضوح على أنّ التّبليط الثّاني من الأسفل بنى أمّا في عهده أو في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، غير أنّنا نميل إلى الاعتقاد بأنّها شيدت في العصر العباسي لتباين ريازتها عن بقية المرافق الأخرى وعلى الأخص في طول القاعة وعرضها وطريقة صف الغرف على الجانبين ووجود إنصاف الأعمدة المزدوجة في حنايا ساحتها «١٠٠» وهو طراز عباسي بحث.

٣- أنّ الطّبقة الثّانية في دورها الثّاني قد هجرت في النّصف الأخير من القرن الثّاني للهجرة حيث لم نعثر بين جميع المسكوكات الّتي وجدت فوق التّبليط الأخير على أي نقد يعود إلى هارون الرّشيد أو من جاء بعده من الخلفاء وآخر تاريخ في هذه النّقود هو ما وجدناه في مجموعة من المسكوكات النّحاس للخليفة العباسي المهدي ضرب في الكوفة سنة ١٦٧ للهجرة، وتدل الآثار المتراكمة من النّقض والتّراب فوق التّبليط الأخير ولاسيّما في القاعة «٥٥» حيث نشاهد بقايا نحو ١٦ تنوراً انظر الشّكل «١٧» مما يدل على أنّ هذه القاعة قد تحولت بعد هجر الدّار إلى مخبز للزائرين الّذين كانوا يسكنون الأواوين والغرف لصق السّور الخارجي.

٤- عثرنا كذلك على كثير من النّقود الإيلخانية من بينها درهم فضة باسم أرغون رابع حكام السّلالة الإيلخانية ضرب «بغداد؟» عام ٦٨٤ للهجرة، وذلك في أنقاض الطّبقات العليا مما يؤيد كون الطّبقة العليا «الأخيرة» سكنت من قبل الإيلخانيين.

٥- لم نتوفق في العثور على أي من الآثار المنقولة الأخرى والنّقود الّتي تعود إلى العصر العباسي الأوّل والأدوار الّتي تليه حتّى بداية القرن السّابع للهجرة واستيلاء الإيلخانيين على الحكم.

وكذلك نود أن نذكر أنّ ما عثرنا عليه من المواد الخزفية والزّجاج الّتي نشرنا في هذا المقال ما تيسر لنا نشره تؤيد بوضوح التّسلسل الزّمني للطبقات وفق ما مرّ ذكره.

(١) راجع «سومر» المجلد ١٠، ص٧٦ و٨٤.
(٢) تاريخ الطبري، ج: ١، ص١٤٩١- ١٤٩٢ طبعة ليدن.

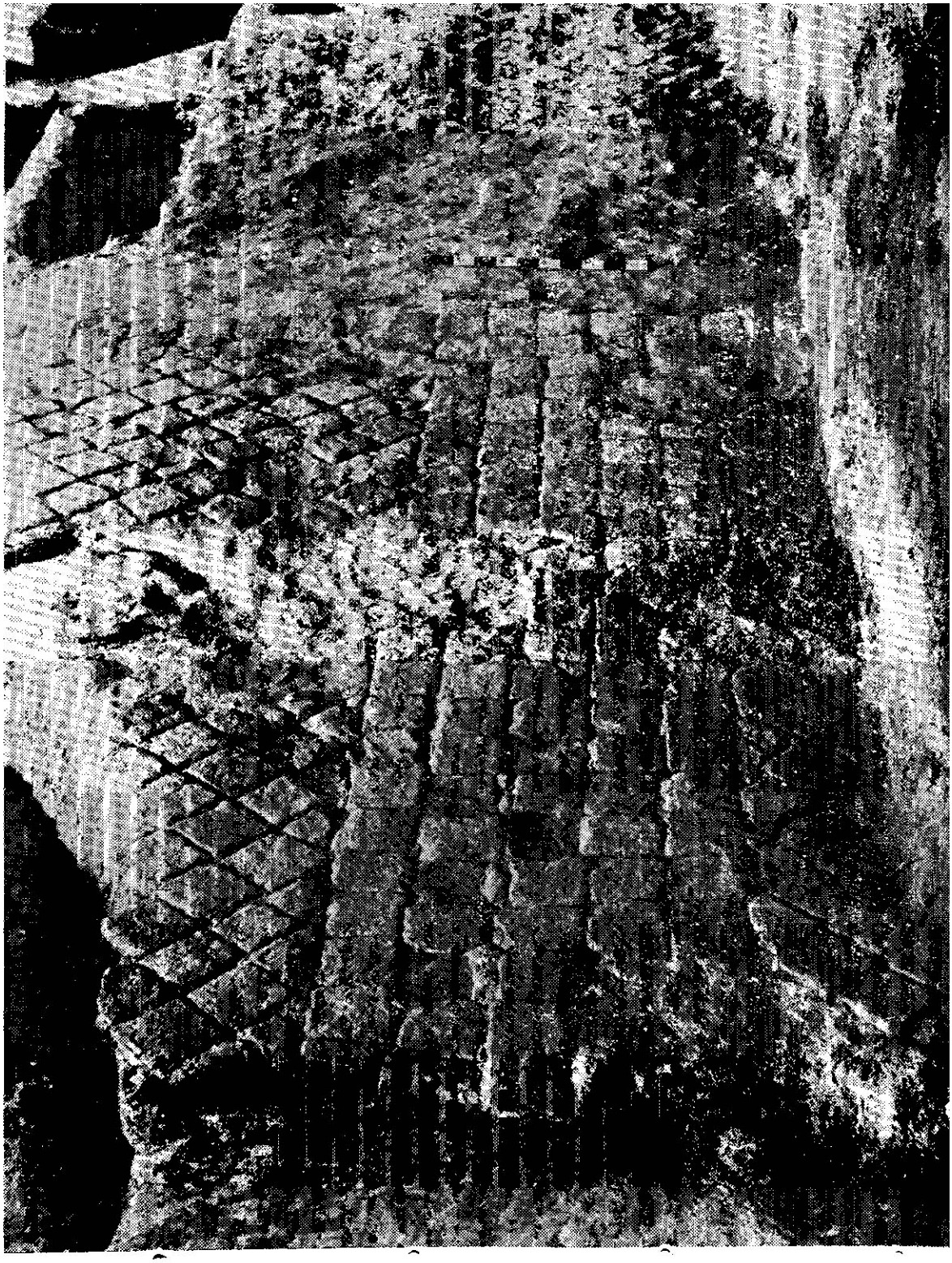

الشـكل : ٧

نموذج من تبليط الساحة الكبرى فى الطبقة الثالثة فى دورها الثانى .

الشـكل : ٨

السـاحة المرقمة : ٦٢

الشـكل : ٩ ـ آ

الشـكل : ٩ ـ ب

الغرفـة المرقمـة ٧٣

الشـكل : ١٠

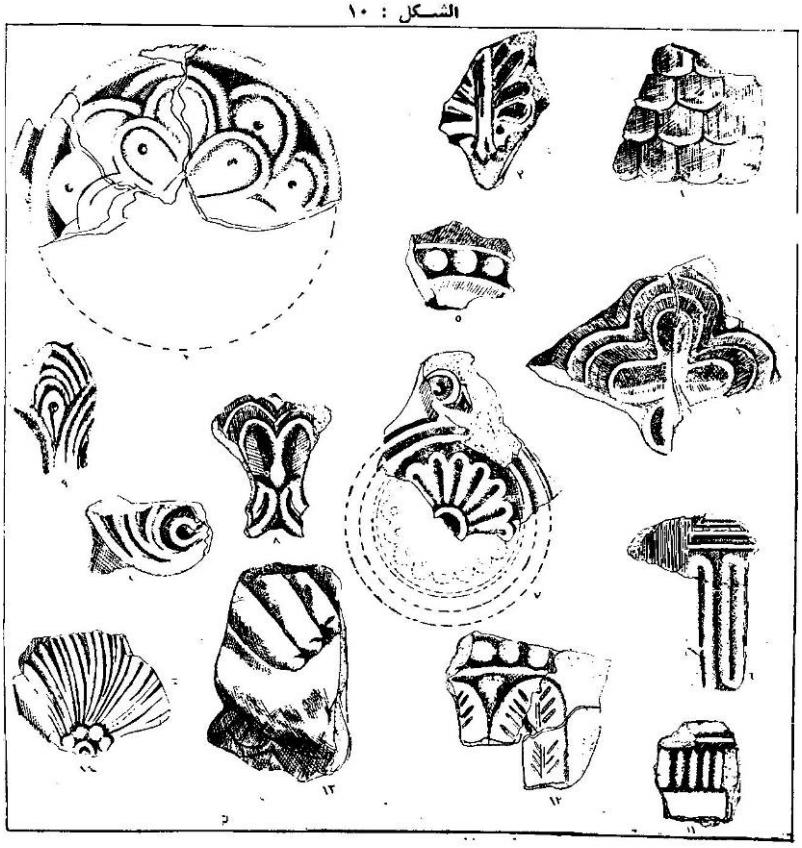

الشـكل : ١١

الشكل : ١٢

الركن الشمالي الغربي من السور الداخلي

الشكل : ١٣

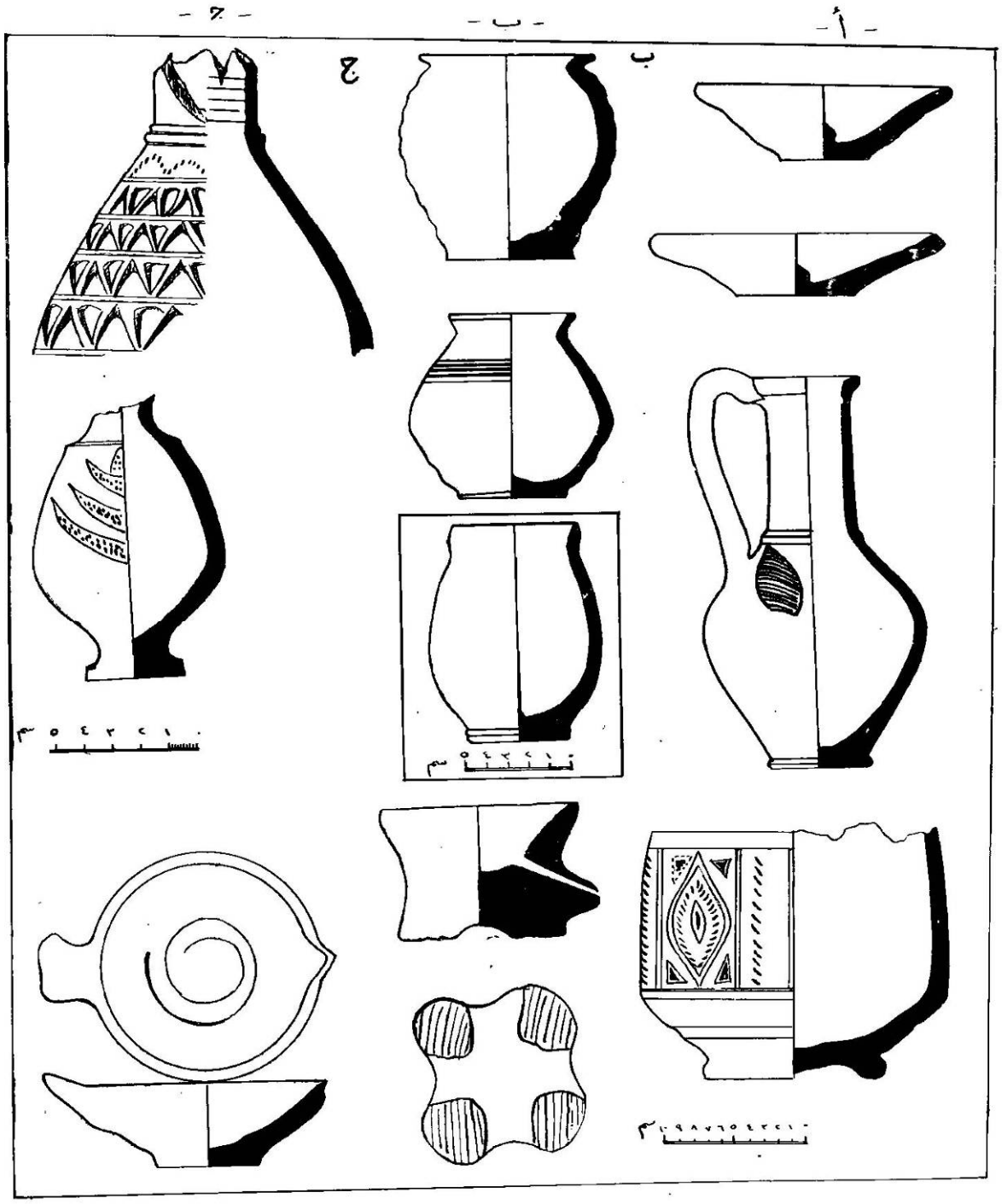

الشـكل : ١٤

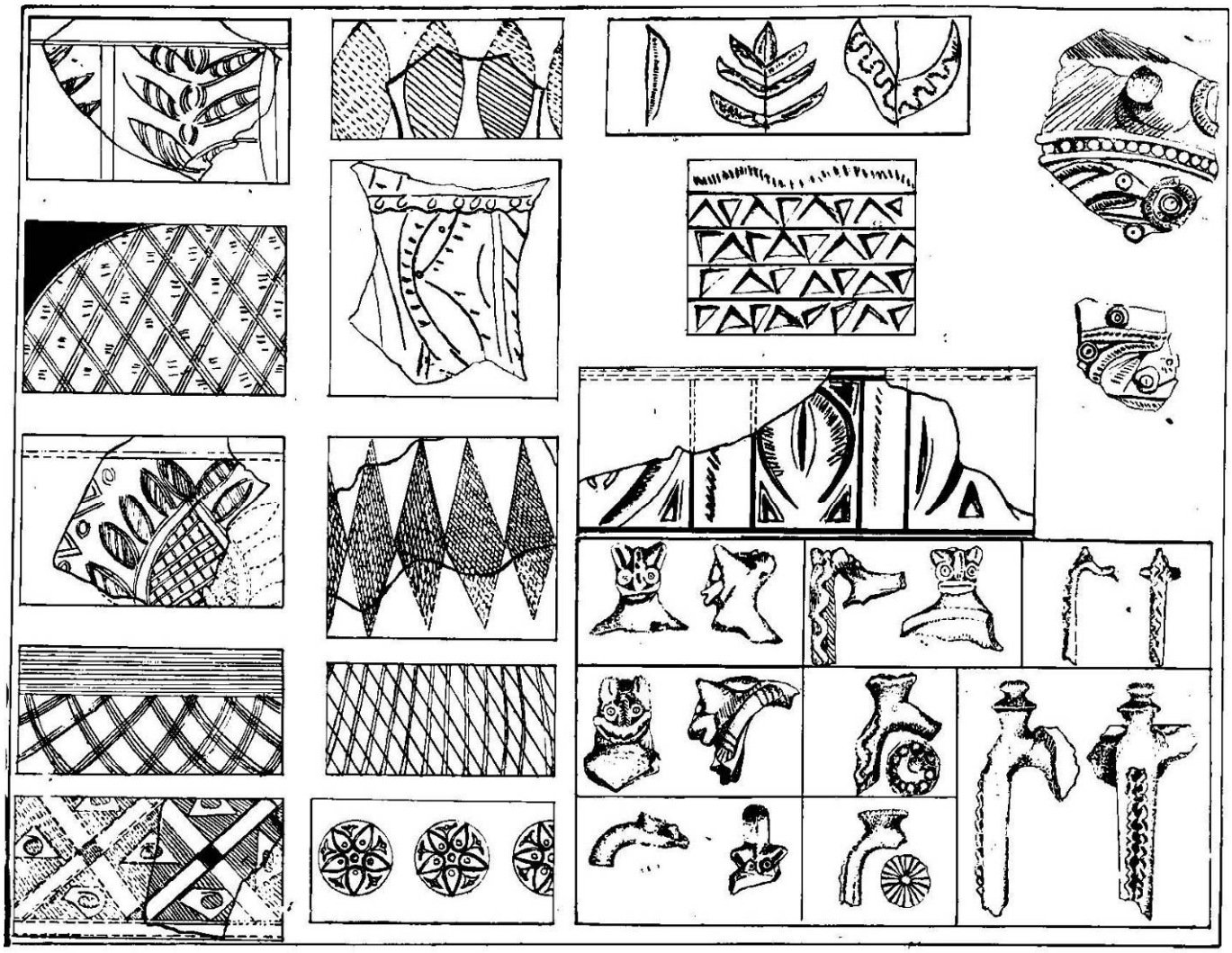

الشـكل : ١٥

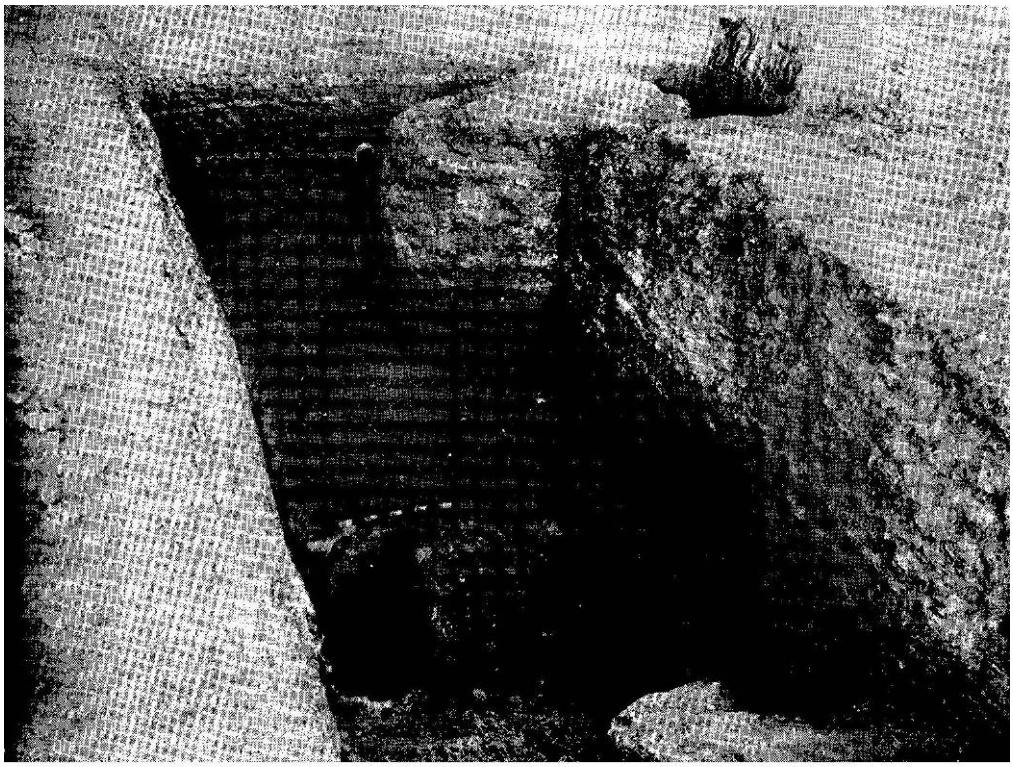

الشـكل : ١٦

الشـكل : ١٧